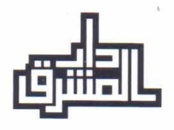

سعود المولى
الإخوان
والجيش
دار المشرق



# الإخوان والجيش

كان تنظيم «الضباط الأحرار» (الذي قام بثورة عام ١٩٥٢ في مصر)، بحسب الإخوان، تنظيماً إخوانياً أساساً، وظلّ إخوانياً صِرفاً حوالى خمس سنوات منذ تأسيسه عام ١٩٤٦، وحتى استقلال عبد الناصر به عام ١٩٥٠. وقد قامت الثورة بدعم كامل وتنسيق شامل مع الإخوان، إلّا أن شهر العسل لم يدم طويلاً. اندلع الصراع بين الجيش وقيادة الإخوان عام ١٩٥٤، ولم يكن الإخوان كحركة أو كجماعة منظمة في موقف موحّد أثناء هذا الصراع، وقد تشكّلت قيادة الإخوان المسلمين لاحقاً من الحرس القديم. وهي تبلورت سياسياً وتنظيمياً ونفسياً من خلال ضغط الأزمة والصراع مع ثورة يوليو ونظام عبد الناصر وتأثرت بتبعاته فيما بعد، وكانت في معظمها من أعضاء التنظيم الخاص الذين تربّوا على صفات الثبات والسرية والطاعة والثقة المطلقة بالقيادة وتنفيذ الأوامر. ناهيك بعزلتهم عن التطورات التي حدثت في العالم والأفكار والتيارات الحديثة، ونظم الإدارة والتنظيم، ما أدّى إلى تمسّكهم بالعناوين الكبرى وبالشعارات العامة، أي إلى الغموض وعدم الوضوح والبعد عن التفاصيل.





القاهره - المعادي - شارع المعراج

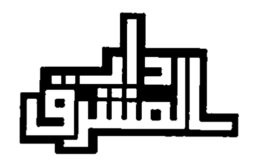
almashriq.books@gmail.com




# الإخوان والجيش

# الإخوان والجيش

د. سعود المولى



الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد دار المشرق

المولى، سعود
الإخوان والجيش/ سعود المولى.
١٩١ص.
١. الإخوان المسلمون. ٢. مصر ـ الأحوال السياسية. أ. العنوان.
297

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»


الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٧

**دار المشرق**

القاهرة ـ المعادي ـ شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

# المحتويات

# مقدمة
# الحركة الإسلامية العربية: الولادة المصرية

في عام ١٩١٨؛ أُسدِل الستار على «الإمبراطورية العثمانية»، التي انهارت تحت وطأة ضربات الإمبرياليات الغربية إثر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، وفي الفترة ما بين الحربين الكونيتين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) عرفت البلاد العربية عشرات الثورات وحركات التمرد والممانعة الشعبية التي قُمعت بالحديد والنار، وأسست لتجذر حالة العداء للغرب في الأوساط الشعبية ولدى النخب المسلمة. وإلى جانب حركات المقاومة المسلحة، والتمرد السياسي الجماهيري، شهدت البلاد العربية أيضاً حركة فكرية سياسية ناهضة حملت راية الصراع «ضد التغريب» و«التبشير»، مهّدت بشعاراتها ونضالاتها لظهور حركة الإحياء الإسلامي ممثلة بالإخوان المسلمين، وكانت مصر هي الأرض الخصبة لتلك الحركة.

# مصر بين تيارين

ظهرت بدايات الصراع بين التيارين الكبيرين خلال المرحلة العثمانية، وبالأخص خلال فترة عمل المجدد محمد عبده بعد عودته من المنفى وتعاونه مع اللورد كرومر[١]. إذ إن «محمد عبده قد استعاد وطوّر فكر الأفغاني بعد نزع طابعه الثوري عنه. وقد استمر عمل عبده التجديدي حتى وفاته عام ١٩٠٥، حيث كان قد أصبح داعية (أو رسولاً) للتطور البطيء والمتدرج للإسلام ولتوافقه مع العالم المعاصر. ويمكن القول بإيجاز إن عمل محمد عبده كان قد مهّد وهيّأ الأذهان وإن كان بصورة لاواعية، لتقبُّل فهم جديد للدولة والدين يختلف عن فهم القرن السابق»[٢]. ولعل هذا ما يفسّر كيف أن كل أطراف الصراع اللاحق (العلماني ـ الديني) ادّعوا الانتساب إلى مدرسة محمد عبده. فمن جهة ظهرت المدرسة السلفية التقليدية على يد محمد رشيد رضا ومجلة **المنار** وعلى

---

(١) انظر دراستنا حول التفكير الإصلاحي والتفكير الثوري بين الأفغاني ومحمد عبده، ورقة بحثية إلى ندوة المعهد الإسلامي، لندن، آب/أغسطس. ١٩٨٤. وقارن أيضاً: غازي التوبة، **الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة وتقويم**، دار القلم، بيروت والكويت، ١٩٧٧.

(٢) مارسيل كولومب، **تطوّر مصر**، بالفرنسية، باريس، ١٩٥٠، ص١٢١ ـ ١٢٢.

قاعدة تعاليم «الأستاذ الإمام». ومن جهة مقابلة، تطورت مدرسة الحداثة والعصرنة مدعية الاستناد إلى تنوّر محمد عبده لتبرير طروحاتها، ولا سيما من طرف طه حسين وعلي عبد الرازق وأحمد لطفي السيّد.

وما كان جديداً وحاسماً في ملامح تلك المرحلة هو كونها تختلف اختلافاً كبيراً عن مرحلة محمد عبده. إذ إن تغيّرات عنيفة كانت قد حدثت منذ مطلع القرن العشرين. ففي زمن الأفغاني وعبده استقر نوع من التعايش أو التساكن بين نمطين ومجتمعين وسلطتين؛ نمط الخلافة والإسلام والتقليد من جهة، ونمط أوروبا والغرب والعصرنة من جهة ثانية[٣].

أما بعد سقوط الدولة العثمانية واحتلال البلاد العربية وتجزئتها، فلم يعد الغرب يقبل بالتساكن أو التعاون (الذي طرحه محمد عبده)، وإنما بالاستسلام الكامل والتخلي عن الهوية والتاريخ والثقافة. ومن هنا نفهم سبب تطور الوطنية المصرية على قاعدة الإسلام، بخلاف القومية العربية التي تطورت في بلاد الشام على قاعدة رد الفعل ضد الاستبداد الحميدي، ثم بعد ١٩٠٨ ضد الدكتاتورية القومية الطورانية، والتتريك الذي مارسته جماعة تركيا الفتاة العلمانية.

وقد تمظهرت الوطنية المصرية الإسلامية في المشاركة الشعبية إبان الحرب الليبية (١٩١١) ثم حرب البلقان (١٩١٢)، وفي دعم

(٣) أول من شخّص أزمة المجتمعات العربية باعتبارها أزمة «مجتمعين يعيشان تحت سقف واحد» هو المفكر الفلسطيني الماركسي الماوي منير شفيق، وذلك في مقالاته الأولى التي أعلنت إسلامه، والتي صدرت لاحقاً في كتاب **الإسلام في معركة الحضارة**، دار الإيمان، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، وقد أعيد طبعه لاحقاً عشرات الطبعات في لبنان وتونس وفلسطين والمغرب ومصر كما ترجم إلى عدة لغات.

العثمانيين في تلك المحطات. كما شهدت المرحلة ما بين ١٩١١ و١٩٢٢ تطوّر التيار الشعبي المصري المؤيد لتركيا (حتى الكمالية في حربها التحريرية). فمصر التي كانت قد أصبحت محمية بريطانية منذ ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٤، ظلت تخفق بالأمل لحصول انتصار عثماني ضد الغربيين. وكانت هزيمة ١٩١٨ بالنسبة إلى مسلمي مصر هزيمة لهم وللإسلام، ونقطة البداية للحملة التغريبية لسنوات ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩.

وقد تابع المصريون بقلق وخوف التطورات الداخلية في تركيا بدءاً من الدستور الجديد لعام ١٩٢٢ الذي يفصل الدولة عن الخلافة، ومروراً بإعلان إلغاء الخلافة (٣ آذار/مارس ١٩٢٤)، وانتهاء بإلغاء اعتبار الإسلام دين الدولة في تركيا (١٠ نيسان/أبريل ١٩٢٨).

كانت الصدمة كبيرة على المصريين وهم يرون أعمال أتاتورك في فرض القبّعة وتغيير الأبجدية إلى اللاتينية وفي إلغاء العربية والأذان. وهكذا نشأت القاعدة الشعبية للمجابهة المقبلة بين الإسلام والعلمانية. «وقد أدت جملة من التطورات والأحداث بدءاً من عام ١٩٢٢، إلى أن تتقدم مصر لتتبوأ موقعها في قيادة الدفاع عن المسلمين الخاضعين للإمبريالية الغربية. وهي لم تتردد في استلام هذا الدور الذي يعود إليها بالفعل خصوصاً بعد قطيعة تركيا مع الإسلام»[٤]. وهكذا التف المصريون حول ثورة الريف في المغرب (١٩٢٠ ـ ١٩٢٦) والثورة السورية الكبرى (١٩٢٥)، إذ تظاهروا وقاموا بجمع التبرعات واستقبلوا قادة الثورتين في القاهرة والإسكندرية. وفي مصر انطلقت أولى حملات الدعم لفلسطين، وهي تطورت واتسعت بعد حادثة حائط البُراق (١٩٢٩)، والتف

(٤) مارسيل كولومب، م.س.ن.

المصريون حول قيادة المفتي الحسيني في فلسطين وحول المطالب السورية والفلسطينية والمراكشية. وعكست الصحف المصرية هذا الجو الإسلامي الذي بدأ يغلي منذ عام ١٩٢٢، ووصل ذروته مع الظهير البربري في المغرب(٥).

وتؤرخ المنار(٦)، ومن ثم الفتح(٧) لمحب الدين الخطيب

---

(٥) اسمه الأصلي «الظهير المنظم لسير العدالة في المناطق ذات الأعراف البربرية والتي لا توجد فيها محاكم شرعية»، هو قانون أصدره الاحتلال الفرنسي للمغرب ووقعه الملك محمد الخامس في ١٧ ذي الحجة ١٣٤٠هـ الموافق ١٦ أيار/مايو ١٩٣٠م. وقد عارض الوطنيون المغاربة حينذاك هذا الظهير ونعتوه بـ«الظهير البربري»، وقاموا بقراءة اللطيف في المساجد ضد ما يرونه «تفرقة» بينهم وبين الأمازيغ، واعتبروا أن هذا الظهير جاء ليحول الأمازيغ إلى المسيحية؛ كما اعتبروا هذا الظهير خطوة استعمارية للفصل بين العرب والأمازيغ في المغرب وذلك لمواجهة المقاومة المتنامية.

(٦) صدر العدد الأول من مجلة المنار في ٢٢ من شوال ١٣١٥هـ الموافق ١٥ من آذار/مارس ١٨٩٨م، وكانت أسبوعية، يتألف كل عدد منها من ثماني صفحات كبيرة على صورة الجريدة اليومية. وحددت افتتاحية العدد الأول أهداف المجلة التي تتركز في «الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، وتفنيد ما يعزى إليه من خرافات، وتربية البنين والبنات، وإصلاح كتب التعليم وطريقة التأليف، ودفع الأمة على مجاراة الأمم المتقدمة في مختلف المجالات». وحرص رشيد رضا على أن يعرض على أستاذه الإمام محمد عبده كل ما يكتبه من مقالات، ليسمع منه توجيهاته وإرشاداته. وبعد عام من الصدور صارت المجلة تصدر على شكل مجلة أسبوعياً، ثم أصبحت في العام التالي تصدر مرتين في الشهر، وبعد سنوات صارت تصدر كل شهر عربي مرة. وكان الشيخ رشيد يكتب على الصفحة الأولى: «المنار مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران». توقفت المجلة سبعة أشهر بعد وفاة الشيخ رشيد رضا عام ١٩٣٥، ثم أُسندت رئاسة تحريرها إلى الشيخ «بهجت البيطار» من علماء سوريا المعروفين، فقام على تحريرها، ثم توقفت المنار مرة أخرى لمدة تقترب من ثلاث سنوات. ثم أسندت أسرة الشيخ إصدار المجلة إلى الإمام الشهيد حسن البنا، فأصدر العدد الأول الجديد في ١٨ تموز/يوليو ١٩٣٩ بعد تردد، وواصلت المجلة صدورها، لكنه كان بطيء الخُطى، وتوقفت المجلة بعد أن صدر منها ستة أعداد على مدى أربعة عشر شهراً، وذلك في سنة ١٩٤٠.

(٧) في عام ١٩٢٦ التقى مجموعة من الشباب المسلم في دار المطبعة السلفية في =

(١٨٨٦ ـ ١٩٦٩)، والشورى[٨]، لمحمد علي الطاهر (١٨٩٦ ـ ١٩٧٤)، لتلك المرحلة وتياراتها وصراعاتها، وهي تحولت إلى أن تكون أداة التعبئة والتحريض في المعركة ضد الغرب، وفي شحذ سلاح الوحدة والتضامن بين المسلمين. «وكانت تلك الصحف تُقرأ في كل البلاد الإسلامية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، من الهند إلى المغرب. ومن قراءة هذه الصحف استمدت الوطنية المصرية حيوية وعنفاً»[٩].

وكانت مصر قد شهدت تكوّن الأحزاب السياسية المنظمة وفي

---

= شارع خيرت في القاهرة، منهم: محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، وأبو بكر يحيى باشا، وعبد الرحمن قراعة، والسيّد محمد الخضر حسين، وعلي جلال الحسيني، وغيرهم. وتمخّض هذا الاجتماع عن إنشاء جمعية لمقاومة ما اعتبروه انحرافات ولمجالدة المفسدين بالحجة والبيان. وبعد إنشائها بأشهر بدا لهم أن الجمعية بحاجة إلى صحيفة تعبّر عن رأي هذه الجمعية، وتساهم في توصيل أفكارها لأكبر شريحة من الرأي العام. فأصدرت تلك المجموعة مجلّة أطلِق عليها اسم الفتح، كان أحمد تيمور هو من سعى لامتيازها، وصدر أوّل عددٍ منها في يوم ٢٩ ذي القعدة من عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٠ حزيران/ يونيو ١٩٢٦م، وتسلّم رئاسة التحرير فيها الشيخ الأزهري عبد الباقي سرور، ثم بعد ذلك تولى دفّتها محب الدين الخطيب حتى إغلاقها. وكانت مجلة الفتح منبراً لعدد كبير من الكتّاب من أمثال: أحمد محمد شاكر، وأخيه محمود، وشكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري، ومحمد الخضر حسين، وعلي الطنطاوي، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم ممن كان لهم أثر في بنيان السلفية العربية. واستمرت المجلة في الصدور حتى صفر ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

(٨) صدر العدد الأول منها بتاريخ ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٢٤. وكان شعارها في بادئ الأمر «جريدة تبحث في شؤون سوريا (فلسطين، سورية، لبنان، وشرق الأردن)»، ثم استبدله ناشرها إلى «جريدة تبحث في شؤون الشعوب المظلومة والأمم المستعبدة»، ثم غيّره مرة أخرى ليصبح «جريدة تبحث في شؤون البلاد العربية والأقطار المظلومة». واستمرت إلى آب/ أغسطس ١٩٣١ حين سحبت السلطات المصرية امتيازها بإيعاز من الإنكليز.

(٩) انظر كولومب، م.س.

مقدمتها الحزب الوطني (الذي تأسس في ٢ نيسان/أبريل ١٨٧٩، وأصبح في ما بعد بقيادة أحمد عرابي باشا)، وحزب الأمة الذي حمل بذور حزبي: الوفد المصري (بزعامة سعد زغلول)، والأحرار الدستوريين (الذي انشق عن حزب الوفد عام ١٩٢١ بشأن وفد التفاوض مع الإنكليز).

وهذان الحزبان (الوطني والأمة) تزعما الحركة الوطنية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. كما شهدت مصر نشوء الجمعيات الدينية الاجتماعية حتى بلغ عدد الجمعيات الرئيسية منها نحو العشرين، أغلب مراكزها في القاهرة، ولها فروع في الأقاليم ولا سيما في عواصم المحافظات. ومن هذه الجمعيات: جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، جمعية العروة الوثقى الإسلامية، جمعية المواساة الاجتماعية (وهذه الجمعيات الثلاث ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى)، جمعية التقوى، جمعية الهداية الإسلامية، جمعية إحياء السنة المحمدية، جمعية المسلم العامل، جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جمعية أنصار السنة المحمدية، جمعية الإخاء الإسلامي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، جمعية الرابطة الإسلامية، جمعية المساعي الخيرية، جمعية السنيين[١٠].. إلخ.

في هذا الجو، ومع نمو التيار الذي حمل لواء الدفاع عن الإسلام وإحياء السنّة، وتدريس مبادئ الدين وحفظ القرآن والدعوة إلى التضامن الإسلامي؛ انعقد «المؤتمر العالمي للإرساليات التبشيرية غير الكاثوليكية» (انعقد في القدس بين شباط/فبراير وآذار/

(١٠) انظر: طارق البشري، **المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية**، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٦٥.

مارس ١٩٢٨)، واشتدت الهجمة على الإسلام والمسلمين. فكان الرد بأن تأسست في القاهرة أول جمعية للشبان المسلمين (كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٧) مقتفية إلى حد كبير أثر «جمعية الشبان المسيحيين» التي كانت تأسست في القاهرة في كانون الثاني/يناير ١٩٢٣[١١].

وقد ربط حسن البنا بين نشاطات التبشير ونشوء حركة الإخوان المسلمين، لا بل حتى إنه ربط نمو نشاط الإخوان بأماكن وجود المراكز النشيطة للتبشير مثل المحمودية والمنزلة دقهلية والإسماعيلية وبورسعيد[١٢]. كما أن الشيخ الإخواني محمود عبد الحليم يقرر في مذكراته بأن الأثر الأكبر في نمو تيار الإخوان (والتيار السلفي خصوصاً) في مصر يعود إلى حركة التبشير. «فلولا هذه الحملة المسعورة (حركة التبشير) ما استطاع حسن البنا أن يجمع على العمل للإسلام هؤلاء الرجال الذين لم تكن تجمعهم جامعة ولا تضمهم رابطة». «وكان من أعظم ما أخرجه الأستاذ محب الدين الخطيب مما سوى مجلة **الفتح** كتاب **الغارة على العالم الإسلامي**». «وكان شعار مجلة **الفتح** المكتوب بجانب اسمها على الغلاف هو هذه العبارة: أنت على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبلك». «وكان من ثمرات ذلك إنشاء جمعية الشبان المسلمين، وأسندت رياستها إلى رجل مسلم غيور هو الدكتور عبد الحميد سعيد، وكان الطالب حسن البنا من أوائل من اشترك في

---

(١١) راجع: إسحاق موسى الحسيني، **الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة**، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٥، ص١١.

(١٢) **مذكرات الدعوة والداعية**، دار الشهاب، لا مكان ولا تاريخ نشر، والأرجح أنه بيروت، ١٩٦٦، ص١٥١ ـ ١٥٧.

عضويتها»[١٣]. وكان الجامع الموحد لحراك الإسلاميين المصريين قناعتهم بأن الإسلام لم يُدمّر، وبأنه يحمل في ذاته أسباب تقدمه (والتقدم والتطور عموماً). فإذا كان المسلمون يرزحون في التبعية والتخلف فذلك لأنهم تركوا الإسلام ونسوا تعاليمه. إن مثال الحضارة العربية الإسلامية يكفي للتدليل على عظمة الإسلام وعلى المساهمة العربية الإسلامية في الحضارة العالمية وفي تطور العلوم والطب وغيرها. وقد أدت كتابات الأمير اللبناني شكيب أرسلان الدرزي، إلى جانب صحف **المنار والفتح والشورى**، الدور الأكبر في تعميم هذه الأفكار. وانتشرت بقوة الدعوة إلى (التمسك بهويتنا، وبذاتنا الثقافية التاريخية، وإلى عدم التقليد الأعمى للغير، وإلى التبصر والتعقل في اختيار النافع والجيد مع الاحتفاظ بشخصيتنا وبخصائص هويتنا. وإن علينا أن نبقى شرقيين مع تطوير علومنا ونقاط قوتنا وأبحاثنا ودراساتنا وتجاربنا، وأن نقوّم الماضي من التجارب ومن التاريخ ومن الثغرات ومن الضعف»)[١٤].

ولعل أخطر وأهم ما كتبه أرسلان في هذا المجال هو كتابه الذائع الصيت: **لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟**، وهو كان لفترة طويلة دليل عمل الناشطين والدعاة والحركيين الإسلاميين، لا بل إنجيلهم الثوري[١٥]. إن سؤال أرسلان عن أسباب التقدّم

(١٣) محمود عبد الحليم، **أحداث صنعت التاريخ**، ج ١، دار الدعوة، القاهرة، ١٩٨١، ص٦٣ ـ ٦٤. وانظر أيضاً: البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص٦٢.

(١٤) صحيفة **الشورى** ١٩٢٦/٢/٤.

(١٥) أذكر أنني قابلت في آب/أغسطس من عام ١٩٨٣ الأستاذ حسن تنكو دي تيرو، وكان رئيس حكومة آتشيه سومطرة الإسلامية في المنفى، وقد حدثني عن دور وتأثير كتاب أرسلان وصحف مصر على وعيهم وتنظيمهم في الجزر الإندونيسية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

والتخلّف كان وما زال سؤال النهضة الإسلامية المعاصرة. وهو بدأ مع الأفغاني وعبده ولم يتوقف إلى اليوم. كيف انطفأت تلك الحضارة العظيمة وتلك الأمة الذكية الحية المتوهجة؟ ما هو الداء الذي أصاب الأمة وأوقعها في الفوضى والجهل والضعف؟ الجواب على ذلك هو أن المسلمين هم الذين تغيّروا، وأن أوضاعهم لن تتحسن ما لم يقوموا بتغيير جديد وشامل في أنفسهم أولاً، تبعاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١٦] (الرعد: ١١). وهذا التغيير هو أولاً وقبل أيّ شيء آخر أخلاقي يطال القيم والمبادئ والسلوكيات؛ ليجيب عن الأسباب الأخلاقية للانحطاط والتخلّف. فقَدَ المسلمون من ضمن ما فقدوا، الحماسة والشجاعة والتعاون والتكافل والتضحية[١٧]، وحلّ بهم الخوف والجزع، فهادنوا الاستعمار الفرنسي والبريطاني في المغرب وسوريا وفلسطين[١٨]، وأصبح الجبن والتخاذل شعارهم بعد أن كانوا يُعرفون بالإقدام والجرأة. وإذا أضفنا إلى ذلك الجهل أو بالأحرى «المعرفة الناقصة» التي هي أخطر من الجهل؛ لعرفنا أي وضع صار إليه المسلمون في العالم اليوم وما سبب ما آلوا إليه[١٩]. وهكذا حلّ اليأس والتشاؤم، وأصبح العلماء يداهنون الحكام ويتقربون منهم، وصار الناس يرون قوة الغرب لا تقهر، والمقاومة فعل انتحار، فاستسلموا للتخلّف والهوان[٢٠].

---

(١٦) أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم**، ط ١، القاهرة، ١٩٣٠، انظر طبعة بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٥، ص٤١ ـ ٤٢، وقارن بالطبعة الجديدة للدار التقدمية، بيروت، ٢٠١٠، وخصوصاً التقديم للدكتور سعود المولى.

(١٧) م. ن، ص٤٣ ـ ٤٤.

(١٨) م. ن، ص٤٥ ـ ٦٧.

(١٩) م. ن، ص٧٥.

(٢٠) م. ن، ص٧٧ ـ ٨٧.

وبحسب أرسلان، فإن الإسلام ضاع ما بين جاحد وجامد. الجاحدون يريدون نفي وتدمير الشخصية والهوية والتاريخ وكل ما قامت عليه الأمة، في حين لا يريد الجامدون تغيير أفكارهم ولا يتركون غيرهم يتغيّر[٢١]. لقد ضربت كل هذه الأمراض الأمة في ظروف مصيرية حاسمة. ذلك أن عمل المسلمين «الجغرافيين» (كما يسميهم أرسلان ويقصد بهم المسلمين بالهوية ومكان الإقامة)، قد جاء ليضاعف الأزمة، إذ هم يتقربون من الفرنج ويخضعون لهم وينشرون سياستهم العلمانية الإلحادية، مدعين أنها وحدها طريق الحصول على القوة والتقدم. إن هذا التغريب وتلك الدعوة إلى التحرر من سطوة الدين والتقاليد تخالف حتى ما ذهب إليه الغربيون من عدم السير في طريق محفوف بالشكوك والمخاطر وغير معروف العواقب، وفي التمسك والدفاع عن ثقافتهم وتقاليدهم وتاريخهم. ولو كان «المسلمون الجغرافيون» صادقين وأمناء ومحترمين؛ لكانوا قلّدوا اليابان التي عرفت كيف تستحوذ على كل مكتسبات ومنجزات الحضارة والعصرنة الغربية، دون أن تفقد مع ذلك هويتها وشخصيتها ودون أن توصف بالرجعية. كما أن هناك مثال الشبيبة اليهودية ورئيسها وايزمان الذي يناضل لإعادة إحياء اللغة العبرية، حتى تكون الرابطة التي توّحد اليهود وقاعدة عملهم لإنشاء دولة لهم في فلسطين. وهكذا ومع أن اليهود يطالبون بانتمائهم وانتسابهم إلى قبائل وإلى لغة لا يُعرف مبدأ تاريخها لتوغلها في الزمن لتكون قاعدة لوحدتهم في النضال؛ فإنه لا يُقال عنهم إنهم رجعيون أو متأخرون[٢٢].

---

(٢١) م.ن، ص٨٨ و١٠١ ـ ١١٧.

(٢٢) م.ن، ص٩٥ ـ ٩٩.

لقد أصبح المسلمون جبناء يخافون وييأسون، وفقدوا الثقة بأنفسهم وبدينهم، وبالغوا في تضخيم الشعور بالعجز أمام الغرب والاتكال على القدر والمعجزات. إن هذا هو سبب الخمول والتأخر، ولذا فإن النهضة لا بد أن تبدأ بإعادة الاعتبار إلى قيمة أخلاقية اسمها التضحية. إنها الجسر الذي يقود المسلمين إلى التقدّم. وهي هنا العمل والجهاد بمعناه الأوسع والأكثر واقعية، أي بذل الدماء والأموال والأملاك لبناء قواعد صلبة لنهضة حقيقية[٢٣].

بهذه المعاني الثورية خاطب أرسلان جيله والأجيال الشابة، مؤسساً لفكرة مركزية في العمل الإسلامي الحركي اللاحق، استعادها حسن البنّا وسيّد قطب وأبو الأعلى المودودي وكل أبناء الحركة الإسلامية المنظمة (في الإخوان كما في حزب الدعوة الشيعي). إن أرسلان كان يؤسس هنا لفكر الحركات الإسلامية المعاصرة، حين تجد في ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم سبب انحطاطهم وانهيار مجدهم.

(٢٣) م.ن، ص١٣٣ ـ ١٣٨ و١٥٣ ـ ١٦٣.

# علمنة أم إلحاد

كانت المعركة ضد الغرب والمتغربين الإطار الأوسع لتطور الصراع بين محافظين ومجددين، وبين أصالة ومعاصرة، وكان ذلك هو الحضن الذي رعى نشوء ونمو التيّار الإسلامي الحركي المعاصر بكل أشكاله واتجاهاته، في مصر أولاً، ومن ثمَّ منها إلى العالم الإسلامي كله.

في نيسان/أبريل ١٩٢٥، حاول علي عبد الرازق، القاضي في المحكمة الدينية في المنصورة، أن يثبت أن موضوع فصل الدين عن الدولة يتلاءم ويتوافق مع تعاليم القرآن والسنّة[١]. وكانت تلك محاولة جريئة لإثبات شرعية قرار مصطفى كمال إلغاء الخلافة. وفي عام ١٩٢٦ أعلن طه حسين أنه يريد تطبيق المنهج النقدي الديكارتي في دراسته للأدب، وهذا سيقوده إلى التشكيك في صحة الشعر الجاهلي[٢]، وأيضاً في صحة بعض المسلمات العقدية الدينية التي يتبناها الإسلام السلفي الرسمي والشعبي[٣]. وفي الصحافة والبرلمان خرجت أصوات تطالب بالمساواة بين المرأة والرجل، وأخرى بإلغاء المحاكم الدينية وإعادة صياغة قانون الأحوال

---

(١) علي عبد الرازق، **الإسلام وأصول الحكم**، صدر في القاهرة، ١٩٢٥، وأعاد نشره وقدم له محمد عمارة مع وثائق محاكمة المؤلف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

(٢) كتابه **في الشعر الجاهلي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦.

(٣) كولومب، م.س، ص١٢٢ ـ ١٢٦

الشخصية، الذي اعتُبر غير متلائم مع العصر والحداثة. وظهرت أصوات تطالب أيضاً بإلغاء تشريع تعدد الزوجات والتشريعات المتعلقة بالطلاق وحتى بإلغاء منصب الإفتاء الشرعي. ووصلت السجالات والصراعات إلى ميدان اللغة العربية، وتاريخ مصر، والهوية الفرعونية، والثقافة الإسلامية، والفصحى والعامية. وانقسم المثقفون في مصر[٤]. وقد رأى الوطنيون المصريون (الملتفون حول رجال الفكر الإسلامي يومها) في الحملة التغريبية والغربية على مصر، صورة جديدة من صور الغزو الصليبي تستهدف الهوية الإسلامية والعربية. ويكفي أن نستعرض كتابات شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب في جريدة **الفتح** لكي نفهم طبيعة الأجواء التي سادت مصر في تلك الفترة، وهي أجواء كتب عنها حسن البنّا في مذكراته أنها كانت السبب في بحثه عن تأسيس قوة إسلامية للمواجهة[٥]. وقد وصفت جريدة **الفتح** شكيب أرسلان بأنه «على رأس المجاهدين المسلمين المدافعين عن الإسلام والثقافة العربية»[٦]. وقد وضع قلمه وحماسه وسمعته في خدمة انتصار الإسلام في هذه المعركة التي وجهها ضد الغرب الذي اعتبره رأس الشر، في حين أن الشرقيين ليسوا سوى مقلّدين مبهورين بأسطورة العصرنة والحداثة والعلمانية التي هي أكذوبة تضحك بها أوروبا علينا، حيث إن مثقفينا الشرقيين المبهورين بهذه الأسطورة يصدقون كل ما يأتي من هناك. وبحسب الأمير فإن أوروبا التي تتحدث عن الحريات الدينية لا تطبق ما تدعي تعليمه للآخرين. ذلك أن أوروبا يحكمها العقل، والعقل لا يسمح بالحرية المطلقة، فهو في اللغة

---

(٤) كولومب، م.س.

(٥) انظر: إسحاق الحسيني، م.س، ص١٥ ـ ٢٥، وحسن البنا، **مذكرات**، م.س، ص٥٠ ـ ٦٢.

(٦) **الفتح**، العدد ١٩٨، ٨/ ٥/ ١٩٣٠.

العربية يعني الربط (عَقَلَ) الذي هو ضد الإطلاق والتحرير. ويذكر أرسلان لتدعيم رأيه مثال سويسرا المحافظة جداً في مجال حرية الأديان والدعاية الدينية[7]. وما هو مهم عند أرسلان هو تبيان وكشف الصلة الوثيقة ما بين الأيديولوجيا والسلطة، وما بين الدين والدولة. وهو لا يكتفي بعرض وجهة نظر الإسلام في هذا الخصوص، وإنما يجهد لتقديم إثباتات وشهادات من الغرب ومن السياسات الأوروبية، لإقناع أولئك الذين لا يقبلون إلا الدليل الذي يحمل العلامة الأجنبية (صُنع في أوروبا). إن الفصل بين الدين والدولة حسب أرسلان هو أكذوبة ووهم، والأمير اللبناني لا يعدم الأمثلة الكثيرة على ذلك[8].

غير أن الغريب العجيب الذي لم أجد له تفسيراً هو أن حسن البنّا لا يذكر شكيب أرسلان أبداً بالاسم، برغم أنه يأخذ عنه الكثير ويستوحي منه كثيراً في موضوع الهوية والثقافة والغرب، وبرغم أنه يذكر دور رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ومجلتي **المنار والفتح**، في التأثير عليه وعلى أمثاله عند تفكيرهم بالعمل على حماية الإسلام من غارات التبشير والمبشرين. فهل ذلك يعود إلى درزية أمير البيان وشيخ المجاهدين؟ كما أن أرسلان نفسه لا يذكر البنّا في أي من كتبه أو رسائله، وهو عاصر نشوء وصعود جماعة الإخوان والدور المركزي للبنّا في الحياة السياسية المصرية! فلعله كان يرفض التحزب المذهبي الديني، وهو الدرزي اللبناني العربي، هذه قضية تحتاج إلى قراءة وتحليل ليس هنا مجالها.

---

(٧) الفتح، العدد ٢٥٩، ٦/٧/١٩٣١.

(٨) انظر: شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، طبعة بيروت، ١٩٧٤، م١/ ج١/ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩. وم٢/ ج٣/ ص٣٤٣ ـ ٣٦٤. وم٢/ ج٤/ ص١٥٧ ـ ١٦٠. وأيضاً مقالته حول الإسلام والحضارة الحديثة في مجلة الزهراء القاهرية، العدد الأول، الشهر الأول من عام ١٣٤٤هـ الموافق تموز/ يوليو ١٩٢٥م، ص٤٢ ـ ٤٥.

# تركيا الكمالية

حتى إلغاء الخلافة؛ تعاطف العرب (وكل المسلمين) مع الأتراك في كفاحهم التحريري، وقاموا بجمع التبرعات والمساعدات لدعم قضيتهم ونضالهم ولاسيما في مصر وسوريا[1]. ولكن شيئاً فشيئاً ومع انكشاف سياسة الكماليين العلمانية والتغريبية، بدأ المسلمون يُعيدون النظر بموقفهم ويغضبون ويعارضون حكام تركيا الجدد. وكان المصريون الرواد في وقوفهم ضد مصطفى كمال والكمالية وذلك منذ عام ١٩٢٢. إن عثمانيتهم العنيفة في مرحلة ما قبل الحرب (بسبب الاحتلال البريطاني) قد أخلت المكان لعداء عنيف هو الآخر، للكماليين والاتحاديين، ولتمسك أعنف أيضاً، لا بل شبه مثالي، بالخلافة «رمز وحدة وقوة الإسلام». تحولت الخلافة عندهم إلى أفضل رابطة ممكنة لتوحيد المسلمين. وهم يستعيدون تاريخ دولة الخلافة العثمانية التي جمعت ٤٠٠ مليون مسلم، في حين جاء أتاتورك لتقطيع هذه الرابطة بين تركيا والعالم الإسلامي، مدعياً أنه لا يريد سوى الرابطة التركية القومية، ومعتبراً المسلمين أجانب وغرباء.

---

(١) شكيب أرسلان: رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، دمشق، ١٩٣٧، ص٣٢٧ - ٣٢٨.

وقد رأى شكيب أرسلان في ذلك افتراء «على الحقيقة وعلى المصلحة»، وهو يستشهد بأنور باشا الذي قال في مرة من المرات: إن الأتراك الذين يعيشون في روسيا يتعاطفون مع تركيا، ليس لأننا أتراك بل لأننا مسلمون. أما الياقوت الذين يعيشون في سيبيريا والذين هم أتراك مثلنا فإنهم بسبب كونهم وثنيين لا يتعاطفون معنا ولا يعرفوننا، وكذلك الأمر بالنسبة إلينا[2]. إن تعلّق أرسلان وأترابه من المصريين (والصحافيين الشوام المتمصرنين أمثال رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ومحمد علي الطاهر) بالخلافة وبدولتها، لا ولم يفارقهم أبداً، وهم كانوا يعبّرون عن خوفهم على تركيا ويبرزون تعلّق الشعب التركي إلى يومهم بالعثمانيين[3]. وكان المصريون يعتبرون أن سقوط الدولة العثمانية التي كانت هي دولة الخلافة، قد جاء بأناس يريدون تدمير الإسلام واقتلاعه من البلاد الإسلامية، وأنه في مواجهة هذا الخطر تقف كل الدول الإسلامية عاجزة أو تواجه صعوبات تشلّها عن إمكانية التدخّل[4].

وفي كل تلك المرحلة لم تنفك صحف **المنار والفتح والشورى** عن استذكار مجد المسلمين في الأندلس وسقوط الخلافة في قرطبة وما تلاه من إذلال للعرب والمسلمين. «أما وضع المسلمين اليوم فهو أخطر مما كان عليه أيام سقوط غرناطة. وذلك لأن صفوفهم قد تفرقت وتبعثرت، ومجدهم قد أفل بسبب سقوط الخلافة التي يقول عنها البعض اليوم بأنها لم تخدم العرب وإنما كانت وبالاً

---

(٢) أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنة، القاهرة، ١٩٣٦، ص٢١٤.

(٣) أرسلان، م.س.ن، ص١٢١ ـ ١٢٤، والكتاب هو عن أحمد شوقي الشاعر العثماني بامتياز.

(٤) الفتح، العدد ٢٢٥، ٢١/١١/١٩٣٠.

عليهم. والحقيقة هي أن سبب تعاسة وشقاء المسلمين هو تفرقهم وتناقضاتهم، وخصوصاً العرب منهم، الذين قال عنهم النعمان بن المنذر إنهم ملوك كلهم. إن أمّة يريد كل فرد من أفرادها أن يكون ملكاً ينتهي بها الأمر لأن تخضع للأجنبي وتفقد ملوكها[٥].

(٥) الشورى، ٣١/٨/١٩٣٠.

# نتائج المواجهة

أدت المعركة ضد المتفرنجين الحداثويين إلى إدانة أطروحة علي عبد الرازق أمام لجنة من مشيخة الأزهر بتاريخ ١٢ آب/ أغسطس ١٩٢٥، ثم إلى فصل الشيخ من جسم العلماء ومن وظيفة القاضي. وحصل الأمر نفسه مع أطروحة طه حسين، إذ أصدرت لجنة خاصة شكلتها وزارة المعارف العمومية إعلاناً بتخطئة بعض نظريات طه حسين وتجريم كتابه الذي صودر ثم صدر عام ١٩٢٧ تحت عنوان جديد، بعد حذف المقاطع التي اعتبرت مخالفة، ولكن مدى المعركة تجاوز هذين الحادثين. «ففي بعض الأوساط، كثر الحديث عن تبني لبس القبعة مما أُضطر سعد باشا زغلول إلى تذكير الطلاب بأن عادات وتقاليد الشعب المتجذرة والمتوارثة أباً عن جد هي بمثابة العناصر المكوّنة والمميزة للهوية القومية»[١]. وفي مناسبة أخرى علّق سعد زغلول على كتاب علي عبد الرازق بعبارات شديدة الانتقاد واصفاً إياه بأنه «جاهل بصورة غريبة وعجيبة بأصول دينه، حتى بالأفكار والمبادئ البسيطة الأولية، وإلا فكيف يستطيع الادعاء بأن الإسلام لم يوجد للحكم أو للتدخل في الحياة

(١) كولومب، م.س، ص١٢٥.

العامة أو الاجتماعية». لا بل إن سعد زغلول «تساءل عن كيفية تعيين عبد الرازق شيخاً»[٢].

ودخل المعركة العديد من رجالات مصر في تلك المرحلة، التي شهدت من ضمن ما شهدته كتابات شيخ الإسلام السابق في دولة الخلافة العثمانية (مصطفى صبري)[٣]، إضافة إلى كتابات

---

(٢) الفتح، العدد ١٢٠، ١/١١/١٩٢٨.

(٣) ولد الشيخ مصطفى صبري لأبوين تُركيّين في ١٢ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩م، في الأناضول بمدينة «توقاد» التي يُنسب إليها. تتلمذ في بداية تحصيله العلمي على يد والده الأستاذ أحمد التُوقادي، وأتمّ دراسته الأولية في مسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم بها، ثم واصل رحلة التحصيل بمدينة قيسري، ثم انتقل بعدها إلى الأستانة ونال إجازتين. انخرط مصطفى صبري ابن الثاني والعشرين ربيعاً في سلك كبار المدرسين بصفة أستاذ محاضر في جامع السلطان محمد الفاتح، بعد امتحان التدريس بدرجة مدرس عام سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م. وقد تخرج على يديه عدد لا يستهان به من الطلبة، ويذكر أنه سلّم إجازات لخمسين طالباً. اختير بتاريخ ١٦ كانون الثاني/يناير ١٩٠٠ عضواً في ديوان القلم (أمانة السر). واختارته هيئة كبار العلماء المعروفة بالجمعية العلمية رئيساً لصحيفتها الأسبوعية التي كانت تصدرها بعنوان بيان الحق، ليعيّن بعدها عضواً في دار الحكمة «هيئة كبار العلماء»، تولى بعدها تدريس الحديث الشريف في مدرسة السليمانية. اختير نائباً عن مدينة توقاد في المشروطية الثانية بتاريخ ١ كانون الثاني/يناير ١٩٠٨، ثم تولى في عهد وزارة الداماد فريد باشا الأول المشيخة الإسلامية سنة ١٩١٩ بناء على الإرادة السلطانية، وظل محتفظاً بمنصبه في الوزارتين المتعاقبتين. ولما ضاق به حال البلاد بناء على ما تعرّض له من ضغط وتقييد اضطر إلى الهجرة. سافر إلى مصر سنة ١٩٢٣ ومنها إلى لبنان، وبقي على تلك الحال متنقلاً، فزار مكة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٢ وهذا بعد الإقامة القصيرة بتركيا.

قال عنه محب الدين الخطيب: «فحل الفحول الصائل الذي يعد فضله أكبر من فضل معاصريه»، لأنه دافع عن الإسلام في أيام كان فيها الانقضاض على الإسلام باسم الإسلام وبمباركة علمائه. وقال عنه الشيخ زاهد الكوثري: «قرّة أعين المجاهدين»، وقد مدحه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قائلاً: «إن كتابه موقف العقل هو كتاب القرن بلا منازع»، وقال الشيخ البوطي عن كتابه آنف الذكر: «هو كتاب لا مثيل له».

عانى شيخنا ﷺ طوال حياته الفقر الذي كان به فخره؛ فقد عاش فقيراً ومات =

مصطفى صادق الرافعي، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الخضري، ومحمد فريد وجدي، وغيرهم، في الرد على الأستاذين علي عبد الرازق وطه حسين.

أولى نتائج هذه المعركة الحضارية ـ السياسية تمثّلت في انتعاش التيار الإسلامي الحركي المقاوم في مصر وامتداد تأثيره إلى شبه القارة الهندية، وإلى إندونيسيا وماليزيا وبلدان المغرب في شمالي أفريقيا. ورافق ذلك ولادة عشرات الجمعيات والهيئات الدينية في مصر، وهي معظمها أبصرت النور ما بين عامي ١٩٢٧ و١٩٢٩، وكان أبرزها جمعية «الإخوان المسلمون» ومؤسسها حسن البنّا، الذي عُرِف بإعجابه الشديد وتأثره الكبير برواد الحركة الجديدة في مصر، كما تشهد بذلك كتاباته المبكرة في **الفتح**، وتردده على المكتبة السلفية، واتصاله بمحب الدين الخطيب وعبد الحميد سعيد والشيخ أحمد عبد الحميد، وكذلك تردده على مجالس الشيخ رشيد رضا في دار العلوم. كما يذكر هو نفسه ذلك

---

= على تلك الحال غير آبه بجمع حطام الدنيا. وأكبر شاهد على ما ذهبنا إليه اضطراره إلى بيع كتبه ليحصل على ثمن تذاكر سفر من الدرجة الثالثة بالباخرة له ولسائر أفراد أسرته، وذلك من الأستانة إلى الإسكندرية، وهذا رغم توليه منصب «شيخ الإسلام» لسنوات عديدة. وكانت شجاعته مضرب الأمثال بين علماء عصره؛ فقد حارب الاتحاديين وعلماء الدين المتغربين، ولحقه من جراء ذلك أذى كبير من قبل المثقفين والساسة. وقد عمل طوال حياته على تغيير الوضع نحو الأفضل، وقد زاد نشاطه منذ أن أحس بالخطر المحدق بالدين الإسلامي في العالم الإسلامي، وبقي على ذلك المنهج غير متزعزع أو مستجيب للترغيب أو الترهيب. توفي الشيخ مصطفى صبري التوقادي بمصر في ٧ رجب ١٣٧٣هـ الموافق ٢ من آذار/مارس ١٩٥٤م. حول القبعة والحجاب وتعدد الزوجات وغيرها، انظر: **الفتح**، العدد ٥٨٤. وانظر أيضاً مجموع مقالاته حول المرأة في كتاب **قَوْلي في المرأة**، صدر في طبعة جديدة، ١٩٨٢، القاهرة. كما صدرت كتابات كثيرة في دحض مقولات طه حسين حول الشعر الجاهلي (أهمها مقدمة شكيب أرسلان الشهيرة لكتاب محمد أحمد الغمراوي: **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي**، القاهرة ١٩٢٩. والمقدمة تقع في الصفحات ٣ إلى ٥٩).

في مذكراته حين يتحدث عن مرحلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨ والصراع الحضاري السياسي، وبحثه عن أشكال جديدة للمواجهة بعد انتشار الجمعيات الدينية بتأثير من صحف **المنار والفتح والشورى**[٤].

وفي الوقت نفسه تطورت المعركة ضد البعثات التبشيرية وضد الحركة الصهيونية في فلسطين، وكان تتويج ذلك في المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد في القدس ١٩٣١[٥].

---

(٤) حسن البنّا، **مذكرات الدعوة والداعية**، انظر صفحات ٤٩ إلى ٦٠.

(٥) لدراسة وافية مفصّلة حول الأمير شكيب أرسلان، وصراعات تلك المرحلة، انظر أطروحتنا للدكتوراه في جامعة السوربون، باريس، ١٩٨٣. وهي بعنوان: «الإسلام والعروبة في فكر وممارسة الأمير شكيب أرسلان» (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦) (بالفرنسية). انظر أيضاً: عجاج نويهض في مقدمته لكتاب **حاضر العالم الإسلامي** (طبعة بيروت ١٩٧٤). م١، ج١، المقدمة.

# حسن البنّا ودعوة الإخوان

«إن هذا الجيل قد جاء في موعده مع القدَر». تلك كانت عبارة جمال عبد الناصر التاريخية وهو يحكي عن جيله، الجيل الذي صنع ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢ بعد أن ورث نكبة ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨؛ وهو جيل حسن البنّا نفسه. إلا أن القدَر بالنسبة إلى حسن البنّا لم يكن قدَر السلطة، بقدر ما كان قدَر العمل الشاق المتواصل، العمل الشامل شمولية الإسلام في مواجهة الانحطاط الشامل الذي أصاب الأمة.

لقد كانت دعوة حسن البنّا استجابة لوجوه التحدي والخلل الذي واجه الأمة الإسلامية والجماعة المسلمة في مطلع القرن العشرين، وهي دعوة تندرج في سياق الجهود السلفية الإصلاحية التي سبقته، والتي تتلمذ هو نفسه على أبرز دعاتها (رشيد رضا ومحب الدين الخطيب) ومنابرها (**المنار والفتح**)[1].

---

(١) راجع **مذكرات الدعوة والداعية**، للإمام الشهيد، م.س.

# عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية

رأى البنا أن عوامل التحلل أخذت تزحف على الدولة الإسلامية وتنتشر وتقوى حتى فرقت كيانها، وقضت على الدولة المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار، وعلى يد الغرب في القرن الرابع عشر الهجري مرة ثانية، وتركت وراءها في كل مرة أمماً ممزقة ومبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض. وأهم العوامل التي أدت إلى تحلل الدولة الإسلامية كما يراها البنا، تتلخص فيما يأتي:

أولاً: الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه.

ثانياً: الخلافات الدينية والمذهبية، والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، والولع بالجدال والمناظرات والجمود والتعصب للآراء والأقوال.

ثالثاً: الانغماس في الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والإسراف والشهوات.

رابعاً: انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة، والديلم تارة أخرى، والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح.

خامساً: إهمال العلوم العلمية والمعارف الكونية، وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة.

سادساً: غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة.

سابعاً: الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، وضربوا بذلك مقومات الأمة الإسلامية[1].

وقد استعاد حسن البنّا، أو هو أعاد إدراج هموم أساتذته في سياق تعبيره عن عناصر التخلف في الأمة، وهي كانت برأيه:

١ ـ الاستعمار سياسياً، وهنا يستعيد موقف جمال الدين الأفغاني ومصطفى كامل.

٢ ـ الحزبية المتناحرة التي أدت إلى تفريق الأمة، وهو هنا يستعيد تجربة المجددين من أسلافه: الأفغاني، أرسلان، ولعل رشيد رضا كان قد عرف ذلك في مرحلة النضال العربي السوري (١٩١٩ ـ ١٩٢٧).

٣ ـ الربا المنتشر في كل مكان، (وهنا عودة إلى فتاوى الشيخين عبده ورضا).

٤ ـ الشركات الأجنبية التي تمتص خيراتنا ومواردنا، (موقف مصطفى كامل).

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، لا تاريخ نشر، والأرجح أنه عام ١٩٧٠، ص١٣١ ـ ١٣٢.

٥ ـ الفوضى الفكرية والمروق العقدي وتحطيم المثل العليا، (سلفية عبده ورضا).

٦ ـ التقليد الغربي الأعمى، (حساسية الأفغاني وشكيب أرسلان).

٧ ـ القوانين الوضعية التي لم تمنع الجريمة أو تقطع دابر المجرمين، (مقالات شكيب أرسلان تحديداً).

٨ ـ التخبط الكامل في برامج التعليم والفوضى الفكرية والإلحاد، (مساعي محمد عبده لإصلاح التعليم، ودور الأفغاني وأرسلان ورشيد رضا في نشر الصحف والمجلات).

٩ ـ مظاهر اليأس التي تستهدف العزائم والهمم، مثل الشهوات والإباحية وفساد الخلق وإهمال الفضائل النفسية، (ثورية الأفغاني وشكيب أرسلان ومصطفى كامل).

١٠ ـ ضعف القيادة وفقدان المناهج العلمية، (وهو هنا يستفيد من تراث الحركات السياسية والحزبية الغربية وأولها الفاشية والنازية والشيوعية، والتي كانت تتصارع على أرض مصر)[٢].

إلا أن حسن البنّا أسس في دعوته للعمل الجماهيري المنظّم، وهو الأمر الجديد الذي استوحاه من فشل تجارب النهضة السالفة (وتجربة أحمد عرابي وعبد الله النديم تحديداً)، ومن قوة وعظمة التجربة الحزبية الجديدة للحركات الفاشية والنازية والشيوعية في

(٢) من أجل لمحة مفصّلة عن عناصر التخلف هذه (ويسميها حسن البنا «الموبقات العشر»)، وعن طرق معالجتها وإصلاح المجتمع (ويسميها «الواجبات العشر» و«المنجيات العشر»، و«المطالب الخمسون»)، انظر: **مذكرات الدعوة والداعية**، م.س، ص٢٢٣ ـ ٢٢٨.

العالم، (وما أكثر وجوه الشبه في شخصية كل من البنّا وأنطون سعادة وفهد العراقي في هذا المجال)، ولكن أيضاً من قوة وعظمة ونجاحات الحركة التبشيرية الإنجيلية التي كانت تغزو مصر يومذاك (وما أكثر وجوه الشبه في شخصيتي البنّا وشكيب أرسلان في هذا المجال)[٣]. إلا أن الأمر الأهم هو أن البنا كان أيضاً خلاصة الشعور الإسلامي الديني المتجذر في مصر، والممتد عميقاً بين أبنائها. وهذا يجعلنا نقول إن البنا اعتمد على الجذور المصرية الأصيلة في تحقيق مشروعه، وهذا لا ينفي إمكانية أن يكون استفاد أو تعرّف على التجارب الخارجية. بل لعل هذا التعرّف قد ساعده على صقل التجربة وبلورة الوعي.

لقد جدّد الإمام البنّا إحساس الأمة بالإسلام، (وهو ما عمل له أعلام النهضة الكبار)، وبصلاحية الإسلام كنظام حياة. كما عمل البنّا على إبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العمل الإسلامي (خوضه للمعارك السياسية والبرلمانية المختلفة)، كما الجوانب العسكرية (الجهاد في فلسطين وتأسيس النظام الخاص وفرق الجوالة)[٤]. وهو ركّز على الجانب الروحي (التركيز على قراءة الأوراد والذكر)[٥] إلى جانب العملي[٦].

وقد قام الإمام البنّا بهذه الدعوة لتحقيق هدفين أساسيين؛ «أولهما تحرير الأمة الإسلامية من كل سلطان أجنبي في الحرية

---

(٣) مذكرات الدعوة. م.س، ص٤٩ ـ ٦٠ وص١٥١ ـ ١٥٧.

(٤) راجع رسالة الجهاد في مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، م.س، ص٢٤٦ ـ ٢٦٦.

(٥) كما في المأثورات: الرسائل، ص٣٣٣ ـ ٣٧٨.

(٦) الأصول العشرون لجمع الأمة، ورسالة التعاليم، الرسائل، ص٢٦٦ ـ ٢٨٤.

والاقتصاد والاجتماع، والقوة العسكرية لحمايتنا من الأعداء، وثانيهما أن تقوم دولة إسلامية حرة تحكم بتعاليم القرآن»[٧].

غير أن النقطة الأبرز والأهم في دعوة الإمام البنّا تبقى في اعتماده مبدأ التنظيم الشامل، كتجسيد للإسلام الشامل الذي دعا إليه. والتنظيم الشامل هو حركية الإخوان غير الحزبية ولا الفئوية ولا الطائفية. فلنستمع إليه يقول في وصيته إلى الإخوان وهم في تمام انتشارهم واتساع دعوتهم وكثرة شُعَبهم: «أيها الإخوان المسلمون؛ اسمعوا، أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد. ولكنكم روح جديد يسري في جسد هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داوٍ يردد دعوة رسول الله. ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن قعد عنه الناس. وإذا قيل لكم إلامَ تدعون، فقولوا ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد والحكومة جزء منه، والحرية فريضة من فرائضه، فإن قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الإسلام. ونحن لا نعرف هذه الأقسام»[٨].

وكان الإمام البنّا قد لخّص المنهاج القرآني في الإصلاح الاجتماعي كما يأتي:

الربانية، التسامي بالنفس الإنسانية، تقرير عقيدة الجزاء، إعلان الأخوة بين الناس، النهوض بالرجل والمرأة معاً، ضبط

(٧) الرسائل، ص١٣٥.

(٨) الرسالة الأولى من رسائل الإمام صدرت قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية وحملت عنوان «بين الأمس واليوم»، انظر الرسائل، م.س، ص١٤٤.

الغريزتين: حفظ النفس وحفظ النوع، الشدّة في محاربة الجرائم الأصلية.، تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها، تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد كسبه، إلزام الأمة بالجهاد، اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ومسؤولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص وإبلاغها إلى الناس جميعاً[٩].

أما الشعائر العملية لهذا النظام التي تشكل سياجاً لتركيز مبادئه فهي:

أ ـ الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار.

ب ـ الصيام والعفة والتحذير من الترف.

ج ـ الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير.

د ـ الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر في ملكوت الله.

هـ ـ الكسب والعمل وتحريم السؤال.

و ـ الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهلهم ومصالحهم من بعدهم.

ز ـ الأمر بالمعروف وبذل التضحية.

ح ـ النهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه.

ط ـ التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة كلٌ فيما يليق به.

---

(٩) الرسائل، م.س، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

ي ـ حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة.

ك ـ الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

ل ـ التضامن الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معاً[10].

أما الوسيلة إلى ذلك فهي عوامل أصلية يمكن حصرها في ثلاثة:

الإيمان العميق، والتكوين الدقيق، والعمل المتواصل[11].

فدعوة الإخوان كما حددها حسن البنّا بنفسه هي:

دعوة سلفية تعود بالمسلمين إلى المعين الصافي من الكتاب والسنة.

طريقة سنّية التزاماً بأفعال رسول الله وأحاديثه.

حقيقة صوفية لطهارة النفس والمواظبة على العمل والإعراض عن الخَلق، خوفاً أو رغبة.

هيئة سياسية تطالب بإصلاح الحكم في الداخل، وصلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم وتربية الشعب على العزة والنبل. جماعة رياضية، رابطة علمية ثقافية.، شركة اقتصادية.

فكرة اجتماعية تعنى بعلاج أدواء المجتمع[12].

---

(١٠) م.س.ن، ص١٣٠.

(١١) الرسائل، ص١٤٢.

(١٢) الرسائل، ص١٥٦.

وبعد هذا التحديد الجامع المانع الذي هدف إلى بلورة مسألة شمولية الإسلام، وإلى بناء التنظيم الشامل كتجسيد للإسلام الشامل، كان لا بد من السؤال عن شكل هذا التنظيم. وقد حدد البنّا هنا أيضاً، ومنذ البداية، خصائصه على أنها:

البُعد عن مواطن الخلاف.

البُعد عن هيمنة الكُبَراء.

البُعد عن الأحزاب والهيئات.

العناية بالتكوين والتدرّج في الخطوات.

إيثار الناحية العملية على الخطب والإعلانات.

شدة الإقبال من الشباب.

سرعة الانتشار في القرى والمدن[١٣].

وصف الشيخ عمر التلمساني (المرشد الثالث للجماعة بعد البنّا وحسن الهضيبي) الجماعة بقوله: إنها «قامت لتعود بالمسلمين إلى التمسك بتعاليم دينهم الصحيحة في كل كبيرة وصغيرة من شؤون العوامل أو طارئ من الطوارئ، ولم تدّع هذه الجماعة يوماً أنها الجماعة المسلمة، لأنه تخصيص بغير مخصص، ولكنها تعتبر نفسها جماعة المسلمين أو جماعة من المسلمين فهي لم تقصر الإسلام عليها ولم تحصره في نفسها»[١٤].

---

(١٣) الرسائل، ص١٥٧ ـ ١٦٨.

(١٤) عمر التلمساني، ذكريات لا مذكرات، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٦٠ ـ ٦١، وانظر أيضاً: ص٧٠.

# حسن البنّا وقيادة الجماهير

«لقد تكاملت في حسن البنّا توليفة من العناصر لم تتكامل فيمن سبقه أو لحقه حتى الآن، وكانت هي السبب في توفيقه فيما توصل إليه من إنجاز». هذا ما قاله شقيقه جمال وهو ينقل عن أحد العارفين بالإخوان: «إن حسن البنّا كان خطيباً وكان في الإخوان من هو أخطب منه، وكان فقيهاً وكان في الإخوان من هو أفقه منه، وكان إدارياً وكان في الإخوان من هو أحزم منه، وكان كاتباً وكان في الإخوان من هو أغزر كتابة منه.. إلخ. إلا أنه لم يوجد في الإخوان ولا في غير الإخوان من تتفق له هذه المؤهلات كلها بنسب قريبة من الكمال»[1].

ويقول شقيقه جمال أيضاً: «إن الأمر المحقق أن المجتمع المصري كان يتطلب حسن البنّا، وأن حسن البنّا بحكم نشأته من الطفولة كان مسوقاً لأداء هذا الدور. فكان لا بد من التلاقي ولا بد من أن يثمر هذا التلاقي أنجح تجارب الدعوات الإسلامية في

(١) جمال البنا، **ما بعد الإخوان المسلمين**، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٤.

العصر الحديث»[٢]. لقد جاء البنّا إذن في موعده (وموعدنا) مع القَدَر. ينقل أنور الجندي عن «الأمريكي روبير جاكسون»، أنه قال في عام ١٩٥١ حاكياً عن حسن البنا: «كان هذا الرجل أمل الشرق في صراعه مع المستعمر. كان حسن البنا خلّاب المظهر دقيق العبارة. لفت نظري إليه سمته البسيط ومظهره العادي وثقته التي لا حد لها بنفسه وإيمانه العجيب بفكرته». وقارن جاكسون بين حسن البنّا وبين جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد أحمد المهدي، والسيد السنوسي، ومحمد بن عبد الوهاب. فقال: «لقد أفاد البنّا من تجارب هؤلاء جميعاً وأخذ خير ما عندهم، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء. كما أنه أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه، وهي المغريات الثلاث التي سلّطها المستعمر على المجاهدين، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في سبيل إغرائه، وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة، وزهده الطبيعي، فقد تزوج مبكراً وعاش فقيراً، كان يترقب الأحداث في صبر ويلقاها في هدوء، ويتعرض لها في اطمئنان ويواجهها في جرأة. وكان الرجل عجيباً في معاملة خصومه وأنصاره على السواء، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلى صفه، وكان يرى أن الصراع بين هيئتين لا يأتي بالنتائج المرجوة. كان الرجل يقتفي خطوات عمر وعلي، ويصارع في مثل بيئة الحسين فمات مثلهم شهيداً. وبناء على دراساتي الواسعة أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقاً صادقاً للمبادئ التي نادى بها. وقد منحه الإسلام كما كان يفهمه ويدعو إليه حلة متألقة، قوية

(٢) خطابات حسن البنّا الشاب إلى أبيه، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، ص٧.

الأثر في النفوس لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين. وكان متواضعاً تواضع من يعرف قدره، متفائلاً عف اللسان، عف القلم، يجل نفسه عن أن يجري مجرى أصحاب الألسنة الحداد. وكان أعجب ما في الرجل صبره على الرحلات في الصعيد وفي فصل الصيف، وفي خمسة عشر عاماً زار أكثر من ألفي قرية وزار كل قرية بضع مرات. وكان في بيته مثال الزهاد وفي ملبسه مثال البساطة، وكنت ألقاه في تلك الحجرة المتواضعة الفراش ذات السجادة العتيقة والمكتبة الضخمة، فلا تراه يختلف عن أي إنسان عادي، إلا في ذلك الإشعاع القوي والبريق اللامع الذي تبعثه عيناه. لقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على الناس. عجب لها من رآها واتصل بها. كان فيه من الساسة دهاؤهم، ومن القادة قوتهم، ومن العلماء حججهم، ومن الصوفية إيمانهم، ومن الرياضيين حماسهم، ومن الفلاسفة مقاييسهم، ومن الخطباء لباقتهم، ومن الكتّاب رصانتهم. كان قديراً على أن يحدِّث كلاً بلغته وفي ميدانه وعلى طريقته وفي حدود هواه وعلى الوتر الذي يحس به وعلى الجرح الذي يثيره. واستشهد حسن البنا. وغسله والده وحملت جثمانه النساء». «إن هذا الختام العجيب (كما يقول روبير جاكسون) سيظل مدى الأجيال يوقد في نفوس رجال الفكر النور والضياء، ويبعث في قلوب الذين آمنوا معه ما بعثه الحق في نفوس أهله حتى يمكنوا له»[٣].

---

(٣) ترجم أنور الجندي كتاب روبير جاكسون حسن البنا الرجل القرآني، ونشرته مجلة **المختار الإسلامية**، (القاهرة، لا تاريخ نشر) وأعيد طبعه عشرات الطبعات في عشرات البلدان. وهو نص يستشهد به كل الذين يكتبون عن البنّا أو الإخوان. إلا أنني لم أعثر على أية إشارة إلى حقيقة هذا الشخص، من يكون؟ فباستثناء القاضي الأمريكي الكبير روبير جاكسون (١٨٩٢ ـ ١٩٥٤)، المدعي العام اللامع وعضو المحكمة العليا في أمريكا، =

ويقول أنور الجندي في كتابه عن حسن البنا[٤]، إن عدد الخطب التي ألقاها البنا في سبعة عشر عاماً، لا يقل عن ثلاثين ألف خطبة، وعدد الجلسات التي عقدها مثل ذلك أيضاً.

لقد كان حسن البنّا منظماً ومنظراً في آن واحد، إصلاحياً وثورياً في الوقت نفسه، جمع صفوة المثقفين من طبقات وانتماءات ومشارب مختلفة إلى مذهب موحد وهدف محدد. كما كان إدارياً من نوع جديد ومجدداً لامعاً. فهو لم يبدأ العمل والدعوة من المسجد، ولم يتقدم بها للشيوخ كما كان يمكن أن نتصور، وإنما ابتدأ بداية متواضعة في مقاهي الإسماعيلية وبين عمال شركة قناة السويس. ثم أخذ يجوب النواحي المجاورة لتأسيس ما سُمي بالشعبة في كل قرية وبلدة، فيما كان أخوه الأستاذ عبد الرحمن يجعل من «جمعية الحضارة الإسلامية»، التي كان أسسها قبيل ذلك، فرعاً للإخوان في القاهرة[٥]. وكان البنّا مثالاً للموظف

---

= والذي عيّنه الرئيس هاري ترومان رئيساً للادعاء العام الأمريكي في محكمة نورمبرغ لمحاكمة النازيين بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦)، لا يوجد أي شخص آخر يمكن أن يكون المقصود. وأنا لم أعثر على أي مصدر أو مرجع أو نص إنكليزي للكتاب المذكور عن حسن البنا في مؤلفات القاضي جاكسون وهي بالعشرات وأشهرها كتابه عن الرئيس تيودور روزفلت ومرافعاته في نورمبرغ، كما تقويماته للمحكمة الدولية ولمحاكمة نورمبرغ برمّتها، وقد يكون ذلك لأن ورثته حذفوا هذا الكتاب من مؤلفاته، أو لعله كان سلسلة مقالات في جريدة أمريكية، والله أعلم. إنما المفيد الإشارة إليه هنا هو عدم توثيق المصادر والمراجع عند الكثيرين من الإخوان وغيرهم من الإسلاميين، ونقلهم عن بعضهم البعض دون التفات إلى الإسناد الصحيح، ما يناقض ضوابط الإسلام.

(٤) غلافه الخارجي يحمل عنوان «قائد الدعوة»، وغلافه الداخلي عنوان «حسن البنا، حياة رجل وتاريخ مدرسة»، لا مكان ولا تاريخ نشر. انظر الصفحات ٨٧ ـ ٩٢ و١٠٦.

(٥) البنا، مذكرات الدعوة، ص١٠٦ ـ ١٠٧ و١٤٨.

الملتزم الذي يقوم بواجباته الوظيفية على أفضل وجه، فهو لم يأخذ إجازة اعتيادية أو مرضية خلال خدمته الطويلة في التعليم إلا لماماً، وكان يذرع القرى قرية قرية خلال إجازة الصيف، ينتقل بالقطار والسيارة والدابة وفي القوارب وعلى الأقدام[٦]. يستخلص من كل قرية واحداً أو اثنين يتوسم فيهما صلاحية الداعين ويكل إليهما تكوين شعبة للإخوان. وهكذا زار على مدار خمسة عشر عاماً أكثر من ألفي قرية، وزار كل قرية بضع مرات، وأسس ونظم ١٥٠٠ شعبة على الأقل، قبل أن تنتبه السلطات المصرية إلى وجود «دولة داخل الدولة» وهيئة ذات نفوذ وسلطان، إذ كانت الشعب الإخوانية قد تمكنت في التربة المصرية بحيث يستحيل اقتلاعها. وكما قامت الدعوة في الإسماعيلية أول مرة على أيدي ستة عمال[٧]، فإن ستة من الطلاب فتحوا الجامعة أمام دعوة الإخوان فاكتسحتها[٨].

كانت الجماهيرية هي أهم خصائص تميّز الإخوان كتنظيم، وذلك على عكس كل الحركات والتكتلات السياسية المعاصرة للبنّا. والمقصود بالجماهيرية هنا ليس فقط طبيعة جمهور الأعضاء، بل أساسَ طبيعة القيادة. فالأحزاب الاشتراكية كانت تتزعمها قيادات من الأرستقراطية المصرية، أو من اليهود المتمصّرين، أو من النخب البرجوازية المثقّفة، والمرهفة خصوصاً بين المسيحيين. أما الجمعيات الإسلامية فقد أخذت شكلاً سلفياً طقوسياً. وبرغم جماهيرية هذه الجمعيات إلا أن فكرها الضيق شلها عن الفعالية

(٦) البنا، مذكرات، ص١٥١ ـ ١٥٧.

(٧) البنا، مذكرات، ص٧٦.

(٨) حديث خاص مع جمال البنا وفريد عبد الخالق، القاهرة، ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩، وانظر أسماء هؤلاء الطلاب الستة في مذكرات الدعوة، ص١٦٢ ـ ١٦٣، ويسميهم حسن البنا «شيوخ طلاب الإخوان المسلمين».

داخل المجتمع. وكانت الأحزاب الكبيرة وهي الهيئات الهامة التي تقلدت الحكم وطبقت سياساتها قد قامت على أكتاف مجموعات صغيرة من النخبة البرجوازية الصاعدة التي امتلكت المال والمنصب والمهنة والثقافة. (حزب الأمة وحزب الأحرار الدستوريين كانا يمثلان كبار ملاك الأراضي، أما حزب الاتحاد فقد أسسه نشأت باشا لحساب الملك فؤاد). ولم يتمثل أي عامل أو فلاح أو موظف صغير في مجلس إدارة حزبي الوفد والوطني، وهي أحزاب الشعب في تلك الأيام. ويروي جمال البنّا أيضاً[٩] أن وجود «أفندي» (هو الغرابلي) بين شخصيات الوفد البارزة اعتبر أمراً إداً، ولذلك تم منحه لقب الباشوية بمجرد تقلده الوزارة. وحتى أولئك الذين كانت جذورهم شعبية (سعد زغلول وحافظ عفيفي وإبراهيم الهلباوي) فإن الزيجات التي عقدوها والمناصب التي احتلوها أبعدتهم تماماً عن الشعب. فسعد بك عضو صالون الأميرة نازلي فاضل وصهر مصطفى باشا فهمي؛ هو غير سعد الله القروي ابن قرية أبيانة. وإبراهيم الهلباوي تزوج من إحدى شركسيات القصر (وكانت العادة أن يخصص لها ٥٠٠ فدان) وانتهى بأن يترافع ضد فلاحي دنشواي.

إن أبناء الفلاحين والعمال والموظفين لم يؤسسوا الأحزاب إلا بعد أن اندمجوا في البرجوازية الصاعدة وانقطعت وشائجهم بالقرية وأهلها. وكان ذلك معروفاً حتى جاء الإخوان، فكان رئيسهم معلماً ابتدائياً وظل معلماً حتى استقال بعد عشرين عاماً دون أية ترقية.

وقامت الهيئة التأسيسية للجماعة ومكتب الإرشاد على عناصر شعبية خالصة من مزارعين وصغار مهنيين وموظفين. إلى حد أن

(٩) ما بعد الإخوان، م.س، ص٤٤ ـ ٤٨.

جمال البنّا يقول إنه يعتقد بأن الذنب الكبير الذي لم يغفره المجتمع السياسي المصري للإخوان، هو أنهم وضعوا نجارين وفلاحين ومعلمين وصغار موظفين في مناصب قيادية للعمل العام وأرادوا لهم أن ينافسوا باشاوات مصر. وإضافة إلى هذا فإن الإخوان كجمهور والإخوان كدعوة تضع الإسلام في صدارة المجتمع كانوا مرفوضين من المجتمع السياسي الليبرالي البرجوازي كما من المجتمع السياسي الاشتراكي، الذي يقوم على الأرضية نفسها التي غرس بذرتها محمد علي باشا ونمت حتى تكللت بدستور ١٩٢٣، ثم بالحقبة الناصرية التي ورثت هذا المجتمع البرجوازي وتبرجزت بدورها.

# إلى أي إسلام دعا البنّا؟

في رسالته «دعوتنا في طور جديد»، يصف البنا دعوة الإخوان المسلمين بأنها «ربانية وعالمية، ربانية لأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتعرف الناس إلى ربهم. وعالمية لأنها موجهة إلى الناس كافة، لأن الناس في حكمها أخوة، أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى. لذلك فليس هناك فئة من البشر مكتوب عليها البقاء في الحضيض إلى الأبد، وليس هناك جنس متفوق، وليس هناك جنس من بني آدم لا يمكن إصلاحه»[١].

وفي الرسالة نفسها، يحدد البنا موقف العقلية الإسلامية فيقول، إن العقل البشري تذبذب بين ثلاثة أطوار: طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق بالغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه، وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول ورفض هذه القوة البعيدة عن مظاهر الكون، مفسراً كل شيء بطريقة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية حدت به إلى إنكار الألوهية والنبوة، ثم جاء الإسلام في الطور الثالث فأصلح من العقليتين وعدل فيهما،

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد، رسالة دعوتنا في طور جديد، ص١٠٩.

فقرر حدود الاعتقاد الروحي، وحدد الصلة الإنسانية بالله، وجعل الإيمان بالله أساس إصلاح النفس، كما قرر الإسلام فضل العالم المادي لو عمّروه بالخير وانتفعوا به في حدود الخير. وهو بهذا جمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل. وهذا الجمع، إنما هو حصيلة العيش في عالمين، لا في عالم واحد، فنحن «عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً. حتى ينتهي بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله»[٢].

وعندما يصف البنا الإسلام يقول: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً. فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، ورحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة»[٣].

وكان البنا يرى رأي المجددين النهضويين الذين سبقوه (وهو رأي السلفية الإصلاحية التقليدية) في الحاجة إلى الاجتهاد، وذلك باللجوء إلى المصادر الأصلية التي تشكل القاعدة الصلبة وهي القرآن والسنة، «اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً. وإن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدته والشعوب التي عاصرتها. ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي، معين السهولة الأولى. وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيّد أنفسنا بغير ما يقيّدنا به الله، ولا نلزم عصرنا

(٢) م.س، ص١١٠ ـ ١١١.

(٣) مجموعة الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٥٦ ـ ١٥٧ وما يليها.

لون عصر لا يتفق معه»[٤]. كما يذكر البنا في رسالة التعاليم أن «رأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفي ما يحتمل وجوهاً عدة، وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات؛ والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد»؛ بمعنى أن لا اجتهاد في العبادات حسب الأصل، وإنما كل شيء دون العبادات يجوز الاجتهاد فيه[٥]. هذا بالنسبة إلى النص القرآني والسنّة. أما في مسألة اتباع السلف الصالح فيقول البنّا: «كل واحد يؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم (الرسول). وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع»[٦].

ولا يرى البنا عيباً في الاختلاف، لا بل إن «الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره»[٧].

أما العقيدة فهي تتلخص «بمعرفة الله وتوحيده وتنزيهه». وهذه «أسمى عقائد الإسلام. وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه نؤمن به كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء». أما عن زيارة القبور فهي سنّة مشروعة ولكن بالكيفية المأثورة. أما الاستعانة

---

(٤) مجموعة الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، م.س، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

(٥) الرسائل، رسالة التعاليم، ص٢٦٩.

(٦) المرجع نفسه.

(٧) م.ن.

بالمقبورين أياً كانوا، ونداؤهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها، والحلف بغير الله، فكلها كبائر تجب محاربتها». ويرى المرشد العام أن «العقيدة أساس العمل» وأن «الإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح من كل شيء لأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها». وعلى هذا الأساس، يرى البنا أنه «لن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة. ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين، فالنظر الشرعي أولى بالاتباع، حتى يثبت العقلي أو ينهار». «وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نُهينا عنه شرعاً، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد[8].

كما عرض المرشد العام، في رسالة التعاليم أيضاً مبادئ الإخوان المسلمين التي تشكل أساس الشعار الأساسي للإخوان المسلمين وهو: «الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا». وهذه المبادئ الأساسية هي: الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، الثبات، التجرد، والأخوّة والثقة[9].

(٨) مجموعة الرسائل، رسالة التعاليم، م.س، ص٢٦٩ ـ ٢٧١.

(٩) م.س، ص٢٧١ ـ ٢٧٧.

# المرحلية في وجه التطرف

في حديث خاص مع الدكتور هشام جعفر[1]، شدد على السمات الخصوصية التي ميزت دعوة البنّا، وهي برأيه أولوية المهمة التربوية (التغيير الثقافي والقيَمي) من جهة، وشمول الإسلام أي الدعوة للإسلام الشامل لكل أوضاع الكون والمجتمع والفرد، الجامع لكل أطراف الحياة، المهيمن على كل شؤون البشر عقيدة وشريعة وسلوكاً، من جهة ثانية. وتساءل جعفر كيف أنه تم اختزال هذا الإسلام الشمولي إلى بُعد واحد من أبعاده، وهو العمل السياسي وأولويته على أولوية التغيير الثقافي والقيَمي (التربوي). وقد أكَّد هشام جعفر أن الأستاذ البنّا قد أدرك مبكراً هذا الخلل وسعى لمعالجته. إلا أن هذا الخلل ازداد عمقاً واتساعاً في التجارب الإسلامية التالية. وفي حديث مع الأستاذ فريد عبد الخالق (وهو من القلائل الأحياء الذين رافقوا الإمام البنّا، وكان ملازماً له خاصة إبان قيادته لقطاع الطلاب في الإخوان)، ومع محمد عمارة

---

(١) المؤسس والمدير العام السابق لموقع إسلام أون لاين قبل الانقلاب عليه، جرت اللقاءات في القاهرة، ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩، وكنا برفقة الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، صحبة السيد هاني فحص والدكتور طارق متري، وفي ضيافة الأخ الكبير الدكتور محمد سليم العوا.

(المفكر المصري المعروف) أكدا هذا التشخيص، كما أشارا إلى أن دعوة البنا كانت منهاجاً للإحياء الشامل وليس فقط لحركة الإسلام السياسي[٢].

وباعتقاد الكثيرين، ومنهم المفكر الدكتور محمد سليم العوا، والمستشار الدكتور طارق البشري، والمهندس أبو العلا ماضي، وغيرهما من رموز تيار الوسط الإسلامي في مصر[٣]، فإن دعوة البنّا الحقيقية لا يمكن اختزالها في التعبير السياسي المباشر عن هدف الوصول إلى السلطة.

كان الإمام البنّا قد بدأ دعوته كما سبق القول بالتنقل بين المقاهي والمحال العامة في الإسماعيلية يومياً بعد الفراغ من عمله في المدرسة التي كان يدرّس فيها، ثم انتقل بالذين تخيّرهم إلى مسجد جديد كانت شركة قناة السويس قد أقامته لعمالها بالإسماعيلية. وأخذ المسجد يزدحم ليلياً بالرواد القادمين للاستماع إلى محاضرات البنّا الذي نقل هذه الاجتماعات إلى القاهرة، والتي عرفت باسم دروس الثلاثاء في المركز العام للجماعة في حي الحلمية الجديد. وكان أسرع الناس إلى تبني دعوة الإخوان هم الجامعيون ومن بعدهم البسطاء في القرى والأرياف من الفلاحين والمزارعين. وبعد ذلك ظهرت وسائل الإعلام الخاصة بالجماعة، مجلة **الإخوان**، و**النذير**، ثم صحيفة **الإخوان** اليومية. والجدير ذكره أن صدور مجلة **النذير**[٤] كان بمثابة الإعلان عن بدء الكفاح

---

(٢) لقاءات القاهرة، ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩.

(٣) لقاءات مختلفة بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٠ كنا نجريها برفقة الإمام الراحل الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

(٤) صدر العدد الأول في أيار/ مايو ١٩٣٨.

السياسي للإخوان، والانتقال من مرحلة الدعوة الدينية والأخوية، إلى مرحلة التنظيم السياسي الذي يعتمد المرحلية ويتوسل الوسائل السلمية دون عنف أو تطرف أو تهور. وهذا ما أكده البنّا في كلمته أمام أحد مؤتمرات الإخوان قائلاً: «أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم، اسمعوها مني كلمة عالية مدوية من فوق هذا المنبر، في مؤتمركم الجامع هذا، إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفاً في هذه الحدود التي اقتنعتم ولكن ليس هناك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب؛ فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات. ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت وتصلح الشجرة ويحين القطاف فأجره عند الله في ذلك، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين، إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة»[٥].

وكأني أسمع صوت الشيخ راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة التونسية يخاطب رجال الحركة الإسلامية بعد نصف قرن على كلام البنّا هذا، فيقول: «لقد تجنبنا الرد على عنف الدولة بعنف مضاد. وباءت بالفشل كل محاولات النظام لتوريط الحركة في هذا السبيل. ولذلك إذا كان من استقرار في تونس اليوم فإنما هو عائد إلى منهج المصابرة الذي توخته الحركة ودفع السيئة بالتي هي أحسن ورفض الاستدراج إلى العنف. هذا هو خيارنا الذي اجتمعت ولا تزال حوله غالبية أبناء الحركة، فمن لم يطق صبراً عليه فليبحث له عن سقف آخر بديل عن النهضة يقف تحته»[٦].

---

(٥) البنا، الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٦١.

(٦) مجلة الوحدة، طهران، العدد ١٦٤ ـ ١٦٥، ١٩٩٤.

وكان الإمام الشهيد نفسه قد خاطب الإخوان خطاب الوسطية والتوازن والرشد والاعتدال: «أيها الإخوان المسلمون؛ ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهفة العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالملعقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر فما هي منكم ببعيدة»[٧].

ويعتبر الدكتور محمد عمارة أن المرحلية هي أهم ما ميّز فكر الإمام البنّا، وأن الشيخ الشهيد قد طوّر فكرة التنظيم كضرورة إسلامية لتكوين دينامو ومحرّك أو مايسترو ضابط لمجمل العمل، مع عدم اختزال العمل إلى التنظيم. ويرى أن فكرة الجاهلية والتكفير فكرة دخيلة على الفكر الإسلامي عموماً وعلى فكر البنّا خصوصاً. أما فريد عبد الخالق فيؤكد أنه سمع من البنّا شخصياً كلاماً عن كون النظام الخاص (أو التنظيم العسكري المسلح) هو خروج عليه وعلى الجماعة[٨].

لقد تميز الإمام البنّا بالدعوة إلى التغيير من خلال المجتمع وليس من خارجه، ومن ثم فإنه لم يكن يدعو إلى رد الناس إلى دينهم بقدر ما كان يدعوهم إلى استكمال أسلمة المجتمع. ومن هنا فقد أمسك حسن البنّا بقضية محورية تتمثل في بلورة مفهوم شمولية الإسلام بحيث يهيمن على السلوك الشخصي كما على الممارسة

---

(٧) البنا، الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٦١.

(٨) في اللقاء المذكور سلفاً، القاهرة، ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩، وفي لقاءات قاهرية أخرى عام ٢٠٠٠.

السياسية للجماعة المنظمة. ولذا فإن حسن البنا لم يطّور نظرية خاصة بقدر ما طرح قضية أساسية، وبلور حولها مبادئ ومفاهيم تهدف إلى إثبات معركته الأساسية، وذلك من خلال شمولية الموقف والرأي والسلوك الإسلامي لكل مناحي الحياة وقضايا المجتمع في مرحلته.

وبقدر ما كانت الدعوة جماهيرية، تتوجه إلى عموم الناس، وتتبنى قضايا الأمة والمجتمع، بقدر ما تطوّر العمل المنظّم إلى صيغة تنظيمية أخذت معها فئة من المسلمين تتمايز عن الناس جميعاً، ثم أخذت فئة خاصة من داخل جماعة الإخوان تتمايز عن الإخوان أنفسهم، لا بل وحتى عن المرشد والمؤسس الإمام البنّا نفسه. فكانت هذه هي النقلة الطبيعية الموضوعية الخاصة بآلية تطوّر أي إطار تنظيمي يولد لتجسيد قيم ومفاهيم معينة، ثم يتحوّل ليكون هو نفسه القضية والقيمة والمفهوم العام.

# من الكشافة والجوالة إلى النظام الخاص

لعل مسألة التنظيم السري شبه العسكري المعروف باسم النظام الخاص، هي المسألة الحاسمة للفصل في القضية الأساسية التي ما زالت إلى اليوم مثار جدل، نظراً لدورها في إثبات أو نفي ادعاء حركات العنف الإسلامي المعاصر أنها وريثة شرعية لتجربة ولموقف الإمام البنّا من «التشكيل السري العسكري» ومن «العنف والعمل الثوري الانقلابي».

بدأت الإجراءات لوضع أول لائحة تنظّم وتقنّن نواحي العمل في الجماعة بين عامي ١٩٣٠ ـ ١٩٣١، ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك سوى ما نقله ريتشارد ميتشل عن حسن البنا نفسه[١]. ولعل المقصود بكلام البنا هو ما يسميه الرسائل والنشرات[٢]، وأولها كان رسالة «القانون الأساسي للإخوان واللائحة الداخلية»، وهذه كما نعرف (القانون الأساسي واللائحة الداخلية) هي من المستلزمات القانونية للحصول على ترخيص بالجمعية، وفق القانون

(١) ريتشارد ميتشل، أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين، وهو الجزء الثاني من كتاب ميتشيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، لا.ت، ص١٣.

(٢) البنا، المذكرات، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

العثماني - المصري الذي كان وما يزال سارياً في العديد من البلدان العربية. ثم صدرت بعد ذلك **رسالة المرشد**، صدر منها عددان فقط[٣]، الرسالة الأولى في ١٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٢ والثانية في ٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣٣. وتوالت بعدها ما صار يُعرف لاحقاً باسم **الرسائل** (نحو النور، دعوتنا، إلى أي شيء ندعو الناس، المأثورات، إلى الشباب، محاضرة الثلاثاء، رسالة الجهاد). ثم صدرت جريدة **الإخوان** الأسبوعية، «في يوم الخميس ٢٨ صفر ١٣٥٢ هجرية وذلك يوافق أواخر شهر أيار/مايو ١٩٣٣، إذ كان التاريخ في صدر أعدادها قاصراً على الهجري فقط»[٤]. والحقيقة أن التاريخ الهجري يوافق يوم الخميس ٢٢ حزيران/يونيو ١٩٣٣. وقد لاحظت أخطاء في كل التواريخ الموجودة في كتاب **مذكرات الدعوة والداعية**، حتى صرت معتقداً أن شخصاً من الإخوان هو الذي قام بجمعه وترتيبه انطلاقاً مما كتبه البنا في جريدة **الإخوان** ابتداء من العدد ٣٧٤ الصادر في ١٩٤٧/٧/٢١ وإلى حدود الخمسمئة عدد على حد قوله[٥]. وبعدها صدرت مجلة **النذير**[٦]. إلا أن أول مؤتمر عام للجماعة هو اجتماع مجلس الشورى العام بمدينة الإسماعيلية في ٢٢ صفر ١٣٥٢ (١٦ حزيران/يونيو ١٩٣٣). ويلفت الانتباه في تلك المرحلة المبكرة حصول انشقاق في الجماعة (بداية عام ١٩٣٠) نتج عن خلاف حول من يخلف البنا في قيادة الإسماعيلية (مركز التأسيس للجماعة) حين قرر الانتقال إلى القاهرة. يومها قدّم المنشقون، وفيهم أمين صندوق

---

(٣) م.ن، ص١٤٢.

(٤) م.ن، ص١٤٤.

(٥) انظر: الحسيني، مرجع سابق، ص٦٧.

(٦) الاثنين ٢٩ ربيع الأول ١٣٥٧ الموافق يوم الاثنين ٣٠ أيار/مايو ١٩٣٨.

الجماعة، بلاغاً رسمياً ضد البنّا متهمين إياه بإساءة استخدام أموال الجماعة (وذلك بتوزيعها على الشُعَب الجديدة ومن بينها شعبة القاهرة التي يرأسها شقيقه). ويومها أيضاً قرر المدعي العام براءة المتهم البنّا، بعد اعتراف المدّعين بأنهم كانوا يوافقون على تصرفات البنا. وبعد قيام المرشد بفصل الرجال (الذين استقالوا أصلاً) قام هؤلاء بحملة من الإشاعات حول «خطورة الجماعة» و«عملها السري»، وكانت هذه أول إشارة إلى شيء «سري» وإلى أشكال تنظيمية تستوحي الأحزاب الغربية أو الماسونية. كما أن أنصار البنّا قاموا بالاعتداء بالضرب على المنشقين المفصولين[٧] في أول ممارسة للعنف الجسدي (تشبه إلى حد كبير ممارسات الحزب القومي السوري في بداياته، أو بدايات القوميين العرب ضمن كتائب الفداء العربي وقائدها المصري حسين توفيق اللاجئ في سوريا يومذاك، فضلاً عن طريقة حزب مصر الفتاة) بعد ذلك ومع الانتقال إلى القاهرة، انتظم العمل وفق لوائح تنظيمية. وكانت اللائحة الأولى هي لائحة فرقة الأخوات المسلمات في الإسماعيلية (٢٦ نيسان/أبريل ١٩٣٣)، كما كانت الرحلات التي قام بها البنّا صيف ١٩٣٣ هي المِدْماك الأول لبناء الأطر التنظيمية في مصر. ثم تألفت بعدها هيئة مكتب الإرشاد العام بناء على قرارات ما كان يُعرف باسم مجلس الشورى (سكرتيره محمد أسعد الحكيم) الذي انعقد في دورته الثانية ببورسعيد (٢ شوال ١٣٥٢ الموافق ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٣٤) وهو الذي قرر إنشاء جريدة **الإخوان** وتسليم إدارتها إلى محب الدين الخطيب. وجاء المؤتمر الثالث (مجلس الشورى طبعاً) في عطلة عيد الأضحى، عام ١٩٣٥، فانعقد في

---

(٧) البنا، **المذكرات**، ص١١٩ ـ ١٢٩.

القاهرة في الفترة من يوم السبت ١١ ذي الحجة ١٣٥٣هـ الموافق ١٦ آذار/مارس ١٩٣٥، وحتى يوم الاثنين ١٣ ذي الحجة الموافق ١٨ آذار/مارس ١٩٣٥. وقد حضر هذا المجلس ١١٢ عضواً من أعضاء الجماعة في أقاليم مصر؛ فيهم عن مكتب الإرشاد أحد عشر عضواً، وعن منطقة القاهرة ٤١ عضواً، واعتذر عن حضور المجلس بالبرقيات والخطابات مع تأييد قرارات المجلس ستةٌ وعشرون عضواً من مختلف الشُّعَب.

كانت الغاية من هذا المؤتمر كما يقول الشيخ حسن البنّا: «التفكير في الوسائل العملية الناجعة التي يجب أن يقوم بها رجال فكرة الإخوان المسلمين للوصول إلى غايتهم القدسية النبيلة»[٨]. وقد تناول المؤتمر القضايا التنظيمية مثل شروط العضوية ومسؤولياتها والسلطة العليا للجماعة. وحدّد هذا المؤتمر الهيئات الإدارية وهي: المرشد العام، مكتب الإرشاد العام، مجلس الشورى العام، نواب المناطق والأقسام، نواب الفروع، مجالس الشورى المركزية، مؤتمرات المناطق، مندوبو المكتب، فرق الرحلات، فرق الأخوات[٩]. ولعل أهم ما تضمنه المؤتمر هو تصنيف العضوية إلى أربعة مستويات هي: مستوى التبعية التي ترغب في الانضمام إلى الجماعة، وهو انضمام عام يكفي فيه إعلان الاستعداد للصلاح والتقوى والتعهد بتسديد الاشتراك الشهري التطوعي (الأخ المساعد)؛ ومستوى الانضمام إلى أصحاب هذه التعاليم، وهو انضمام أخوي يشترط فيه حفظ العقيدة، والتزام الطاعة، والكف عن المحرّمات، وحضور الاجتماعات الأسبوعية

---

(٨) البنا، المذكرات، ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٩) م.س، المذكرات، ١٩٥ ـ ١٩٦.

والسنوية (الأخ المنتسب)؛ ومستوى الخضوع والامتثال العملي، وهذا يتطلب الدراسة وحضور المجالس القرآنية والاشتراك في لجان الحج والزكاة، والانضمام إلى فرق الرحلات والتزام التحدث بالعربية الفصحى وقبول مناصفات الإخوان التأديبية (الأخ العامل)؛ ومستوى الجهاد في سبيل الله وهو مستوى الذروة ولا يمنحه إلا مكتب الإرشاد لمن ثبت أنه يستحقه بناء على تحقق قيامه بكل الواجبات السابقة، إنما على مستوى الذروة كقيام الليل، والوصية بجزء من تركته للجماعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلبية دعوة مكتب الإرشاد في أي وقت أو مكان، والاستعداد لقضاء مدة التربية الخاصة بمكتب الإرشاد وغير ذلك (الأخ المجاهد)[١٠].

ولعل في هذا التنظيم ما يوحي بوجود مهمات أخرى غير ظاهرة مخصوصة لشباب عضوية «الانضمام الجهادي». يومذاك لم يجر تفسير المعنى المحدد لهذه الفئة من الأعضاء. وقد رأى الإخوان في أدبياتهم أن البنّا لم يكن يهدف إلى تكوين «جهاز سري» بالمعنى الذي عُرف لاحقاً، بقدر ما كان يرمي إلى تكوين مجموعة من الأعضاء الأكثر إخلاصاً وفعالية، والذين يستطيعون تحمل عبء خدمة الله والرسالة[١١]. في حين يرى إسحاق الحسيني

---

(١٠) انظر: رؤوف شلبي، **الشيخ حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين**، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢١٨ ـ ٢٢٢.

(١١) انظر: ريتشارد ميتشل، **الإخوان المسلمون**، ترجمة عبد السلام رضوان، دفاتر التاريخ العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦٨. وهذه الدراسة هي الجزء الأول من كتاب ميتشل الشهير وقد جرى تقسيمه إلى جزئين، والجزء الأول يمتاز بصحة الترجمة ودقة الاستشهادات والمراجع، بعكس ما سمي بالجزء الثاني الذي صدر أيضاً عن مكتبة مدبولي حيث لا وجود لأي مصدر أو مرجع أو هامش أو إحالة إلى ثبت مصادر أو مراجع.. إلخ.

في التفاتة ذكية استعاد فيها كلاماً لأحمد أمين عن الصلة بين الجمعيات الإسلامية الحديثة ونظام الفتوة القديم، أن «الجماعات الإسلامية، وهذا تعبير أدق من الجمعيات بحسب الحسيني، كانت تلتف حول أغراض دينية مركزها المسجد، للثقافة فيها نصيب يعادل نصيب الثقافة من الدين في العُرف الإسلامي، وكذلك شأن الاجتماع والسياسة. وليس ثمّة شك في أن هذه المصطلحات نفسها: الثقافة والاجتماع والرياضة، قد اكتسبت معنى جديداً يقارب المعنى المفهوم عند الغربيين، هذا المعنى الذي ساهمت في نقله جمعيات الشبان المسيحية المؤسسة في البلاد العربية»[١٢].
وكان أحمد أمين بك السباق إلى سبر أغوار الأساس السوسيولوجي لما حملته ظاهرة الإخوان المسلمين من تركيز على الرياضة والتدريب والقوة والانضباط والتنظيم. فكتب ملاحظة طريفة وصحيحة مطلع عام ١٩٥٢: «وربما كان قريباً من نظام الفتوة في أيامنا هذه جمعية الإخوان المسلمين. ووجه الشبه بينهم وبين نظام الفتوة ظاهر حتى في تنظيمهم ودعوتهم للإصلاح الاجتماعي ومساعداتهم للفقراء والمساكين، ثم في تسلحهم الذي يشبه الفتوة العسكرية كالتي رأيناها عند الناصر لدين الله وأشباهه من رجال الحروب الصليبية ورجال الفروسية. وقد عقد وكيل النيابة الذي ترافع في قضية الخازندار مقارنة بين نظامهم ونظام الإسماعيلية وأطال في ذلك. والله بمستقبلهم عليم»[١٣]. وقد دافع إسحاق الحسيني، بعد أحمد أمين، عن موقفهما بأن الإخوان لم ينقلوا عن

---

(١٢) الحسيني، م.س، ص١١ ـ ١٢.

(١٣) أحمد أمين بك، **الصعلكة والفتوة في الإسلام**، سلسلة اقرأ، العدد ١١١، دار المعارف بمصر، القاهرة، نيسان/أبريل ١٩٥٢، ص٩٦ ـ ٩٨.

الغرب (مباشرة أو غير مباشرة) وبأنه لا علاقة للدعوة الإخوانية بالنظام الفاشيستي أو النازي، كما حاول أن يثبت ذلك محمد حسن أحمد في كتابه **الإخوان المسلمون في الميزان**[١٤]. والحال أن الكتّاب الشيوعيين المصريين لم يتركوا سانحة دون نسبة نظام الإخوان الى أنظمة الفاشية والنازية، متناسين اللينينية والبلشفية في زمن ستالين وصعود الشيوعية في مصر والعالم العربي، فضلاً عن نظام الفتوة الذي اشتغل عليه أحمد أمين (وهو التحليل الذي تبنّاه إسحاق الحسيني) أو نظام إخوان الصفا والإسماعيلية الذي لاحظه المدعي العام المصري في قضية اغتيال القاضي الخازندار. وباعتقادي الشخصي فإن سحر النازية والفاشية كان أقوى في بلاد الشام، وقد حملته النخب القومية ذات الأصول المسيحية يومذاك، وكان أضعف في مصر حيث الثقافة الإسلامية راسخة الجذور وقوية، خصوصاً ثقافة الفتوة والثقافة الفاطمية.

«إن التشبّه الشكليّ لبعض الأحزاب الشبابيّة في سوريا ولبنان بالتنظيمات الفاشيّة والنازيّة فُسّر إعجاباً بهذا النوع من الأنظمة، علماً أن أحزاباً كالكتائب اللبنانيّة والقمصان الحديديّة السوريّة التابعة لـ«الكتلة الوطنيّة»، لم تكن تعتمد النازيّة والفاشيّة مراجع فكريّة وسياسيّة لها. لا بل حتى في الجانبين الشكليّ والتنظيميّ وُجد تأثّر لا يُخفى بالتنظيمات الشبابيّة الشيوعيّة والكماليّة في تركيا. على أن الإشارة إلى النازيّة في أواسط الثلاثينيات بدأت تتجاوز حدود التعليقات الصحافيّة المقتصرة على الأحداث الألمانيّة والأوروبيّة الكبرى. فالصحافة راحت تناقش بإسهاب وتوسّع

(١٤) كتاب في ١٠٢ ص، مطبعة الإخاء في مصر، لا.ت، والأرجح أنه عام ١٩٤٦.

جوانب من الأيديولوجيا القوميّة الاجتماعية. وعلى مدى بعض السنوات اللاحقة، تمّ تناول جوانب محدّدة من النازيّة، كالتشكيلات الشبابيّة الميليشيويّة ودور الزعيم (الفوهرر) بوصفه التمثيل الراسخ لإرادة الشعب، ومفاهيم العرق والأمة. ومن ناحيتها قدّمت النازيّة موقفاً متماسكاً يجمع إلى الحكم السلطويّ والتوتاليتاريّ مفهوم اللاساميّة وتراتُب الأعراق والشعوب وغير ذلك. ولكنْ في هذا المعنى لم يكن التبنّي الكامل للموقف النازيّ حالة معمّمة في سوريّا ولبنان، إذ عمل المتابعون على تفكيك ذاك التماسك والاقتصار على تأييد هذا الجانب منه أو ذاك. بيد أن هذه بدت بدورها مهمّة مفكّكة وسطحية، إذ إن مثقّفين مثل إدمون ربّاط وميشيل عفلق وأنطون سعادة (خاصة) ترافقت إدانتهم للعرقيّة مع أخذهم بتصوّر بالغ العضويّة والجوهريّة لدور الجغرافيا أو اللغة»[١٥].

ويبدو على كل حال أن أنظمة الماسونية وقبلها فرسان الهيكل وبعدها الكاربوناري الإيطالية، وصولاً إلى الفاشية والنازية والشيوعية، هي التي نقلت عن نظام الفتوة ونظام النقابات الحرفية في المدن الإسلامية القديمة، فضلاً عن النظام الحزبي المحكم لإخوان الصفاء وخلان الوفاء، وتنظيمات الفاطمية والإسماعيلية، وقبلها كل الفرق الغنوصية العرفانية واليهودية ـ المسيحية في هذا المشرق. مما يحتاج إلى بحث خاص ليس هنا مجاله.

ولكن البنّا أشار غير مرة في خطبه ومقالاته إلى ما كان

---

(١٥) حازم صاغية في تعليق له في جريدة **الاتحاد** الإماراتية ١٤/٣/٢٠٠٩ على كتاب للباحث الألماني غوتز نوردبروخ Götz Nordbruch يحمل عنوان **النازيّة في سوريّا ولبنان ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥**، دار راوتليدج، بريطانيا وأمريكا وكندا، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٨.

يحدث في إيطاليا وألمانيا وتركيا بأسلوب يدل على إعجابه ببعض مظاهر الحكم فيها، مثل توحيد القوى بإلغاء الأحزاب في تركيا، واستخدام هتلر الإذاعة للنهوض بشعبه وإلهاب حماسته، في حين يستخدمها المصريون في الحب والغرام والأغاني الرخيصة، وإلى أن إيطاليا قاومتها اثنتان وخمسون دولة وفرضت عليها العقوبات، ولكنها أرغمت هذه الدول على احترام مشيئتها بدون سيف[١٦]. إلا أن هذه الإشارات وردت في عام ١٩٤٦ حين كان الصراع على أشده بين الإخوان وبقية الأحزاب المصرية، وبعد سقوط النازية والفاشية بنتيجة للحرب الكونية الثانية، وصعود الشيوعية في مصر والعالم العربي.

ولا أرى ما يمكننا من تفسير ظاهرة النظام الخاص سوى مثال الفتوة وعلاقة الجماعات الإسلامية بالرياضة والثقافة من خلال الدين ومحورية دور المسجد في ذلك كله، وإعادة إنتاج هذه الأشكال في ظروف الاحتكاك بالغرب وظواهر تنظيمه وقوته. تماماً كما كتب أحمد أمين وإسحاق الحسيني مطلع الخمسينيات من القرن العشرين. وتماماً كما يظهر من فرق الرحلات التي أُنشأت منذ بدايات الدعوة في الإسماعيلية، وأقرها المؤتمر الثالث، أو من فرق الجوالة التي تأسست عام ١٩٣٦، كنتيجة لقرارات المؤتمر الثالث ١٩٣٥ بتعميم تجربة فرق الرحلات، ثم من «الكتائب» التي تأسست بعد المؤتمر الرابع عام ١٩٣٧ (يوم كان بيار الجميل ينشئ في بيروت الكشافة والكتائب على صورة كتائب إسبانيا والبرتغال).

(١٦) انظر جريدة الإخوان المسلمين الأعداد ٥٩ و٦٢ و٧٠ بتاريخ ١١ و١٥ و٢٤ تموز/يوليو ١٩٤٦.

ويقول البنّا[١٧] عن كل هذه التشكيلات إنها بعينها فرق الرحلات، وإنه هو من أسس أول فرقة عند تأسيسه للدعوة في الإسماعيلية عام ١٩٢٨، وإنه كان يزاول تدريبها شخصياً على بعض التمرينات الرياضية، إلى أن عُينّ لها مدرب خاص بمرتب يدفعه له مكتب الإرشاد (تعيين علي أفندي خليل في ذي القعدة ١٣٥٧ هجرية الموافق مطلع كانون الثاني/يناير ١٩٣٩). وهنا أتوقف عند مسألة غريبة، هي خلو كتاب **المذكّرات** من رواية خاصة عن المؤتمر الرابع للإخوان برغم وجود عنوان «المؤتمر الرابع للإخوان» في فهرس الكتاب وتحديد رقم صفحة له (٢٣٨). إلا أن الصفحة المذكورة هي التي تتحدث عن فرق الرحلات وتعيين المدرّسين والمدرّبين لها. وبمراجعة وثائق الإخوان وأرشيفات تلك المرحلة تبيّن أن المؤتمر الرابع انعقد في تموز/يوليو سنة ١٩٣٧ للاحتفال بتتويج الملك الشاب فاروق (الذي كان تلميذاً للشيخ مصطفى المراغي) وكان عمره آنذاك ١٨ سنة. وقد استطاع الإخوان حشد ما يقرب من عشرين ألفاً من جولاتهم في استعراض للقوة، وبعد احتفال طويل لعبت خلاله الجوالة أول أدوارها، تجمّع الإخوان عند بوابة قصر عابدين وهم يرددون: «نَهبك ولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم». ويبدو أن جامع المذكّرات تخوّف من أي كلام عن موقف الإخوان من الملك قد يستغل ضدهم، والكتاب طبع بعد وقوع الثورة الناصرية.

وقد رفض الإخوان المسلمون في العام الموالي حضور حفل زواج الملك، «لما جرى به من سفور واختلاط»، عدّوه من

---

(١٧) **المذكرات**، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

الفضائح. ونشرت مجلة **الإخوان المسلمين**[١٨] مقالاً بعنوان: «إلى الأستاذ الأكبر: أهكذا تكون إمارة المؤمنين؟» (لاحظ عبارة الأستاذ الأكبر الماسونية والمقصود فيها الملك هنا). وقد تأسست الكتائب بعد هذا المؤتمر[١٩].

وبحسب الشيخ محمود عبد الحليم فإن نظام الكتائب مستمد «من اجتماعات دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث كان الرسول يجمع المؤمنين وكانوا قلة، فيبثهم ما عنده ويأخذهم بأسلوب من التربية الروحية العالية»[٢٠]. والكتائب عبارة عن مجموعات تضم كلٌ منها أربعين عضواً، وكانت كل كتيبة تلتقي على حدة في ليلة معينة من الأسبوع لتمارس تدريباتها في تلك الليلة، وهي السهر وأداء أكبر قدر ممكن من صلوات الفرد والجماعة والتسبيح وتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الأوراد، وأقل قدر ممكن من النوم، ويتخلل تلك الجلسات إرشادات روحية في أي موضوع. وكان جوهر الالتزام المطلوب من العضو يتلخص في ثلاث كلمات: العمل والطاعة والصمت[٢١].

---

(١٨) بتاريخ ٢٨/١/١٩٣٨.

(١٩) بحسب ميتشل، ج/١، م.س، ص٦٨، كما بحسب تاريخ مؤتمرات الإخوان.

(٢٠) انظر حديث الشيخ محمود عبد الحليم عن نظام الكتائب والجوالة في كتابه **أحداث صنعت التاريخ**، م.س، ج/١، ص١٥٠ إلى ١٧١.

(٢١) م.س.ن.

# فاصلة المؤتمر الخامس

انعقد المؤتمر الخامس في ١٣ من ذي الحجة ١٣٥٧ الموافق ٣ شباط/فبراير ١٩٣٩، وتزامن مع الذكرى العاشرة لتأسيس الجماعة، واشترك فيه نحو أربعة آلاف من مندوبي شُعَب الجماعة، وحظي بتغطية واسعة من الصحف. وقد أوضح الشيخ حسن البنّا في خطابه في المؤتمر الخامس هذا خصائص الدعوة. كما أوضح منهج الإخوان في التدرج في الخطوات بقوله: «أما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الإخوان المسلمين فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لا بد لها من مراحل ثلاث[1]:

١ ـ مرحلة الدعاية والتعريف، والتبشير بالفكرة، وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب.

٢ ـ مرحلة التكوين وتخيّر الأنصار، وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين.

٣ ـ ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج.

---

(١) الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٥٩ ـ ١٦٠.

ثم يقول: «في حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة في دروس متتالية، وفي رحلات متلاحقة، وفي مطبوعات كثيرات، وفي حفلات عامة وخاصة، وفي جريدة **الإخوان المسلمين** الأولى ثم في مجلة **النذير** الأسبوعية». ثم يقول المرشد العام وهو يتحدث عن خطوة التكوين «خطونا الخطوة الثانية في صُوَر ثلاث:

١ ـ الكتائب ويراد بها تقوية الصف بالتعارف وتمازج النفوس والأرواح، ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه. وهذا هو معهد التربية الروحية للإخوان المسلمين.

٢ ـ الفرق الكشافة والجوالة والألعاب الرياضية، ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان، وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة، وإعدادهم للجندية الصحيحة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم. وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان المسلمين.

٣ ـ درس التعاليم في الكتائب أو أندية الإخوان المسلمين، ويراد بها تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته لدينه ودنياه. وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين»[٢].

وهنا نورد ملاحظة مهمة: كان للإخوان المسلمين ٩٩ فرقة كرة قدم في المناطق المصرية المختلفة، منها ٣٦ فرقة في القاهرة وحدها، و٣٢ فرقة لكرة السلة، و٢٨ فرقة لتنس الطاولة،

---

(٢) الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٦٠.

و١٩ فرقة لرفع الأثقال، و١٦ فرقة للملاكمة، و٩ فرق للمصارعة، و٨ فرق للسباحة كان يشرف عليها السباح العالمي حسن عبد الرحيم[٣].

في خطاب المؤتمر الخامس قال المرشد العام أيضاً: «أعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة، والاختبار الدقيق، وامتحنوها بالعمل القوي البغيض لديها، الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها، وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمئة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله ﷺ القائل: «لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة»[٤]. ويقول بعد ذلك: «هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا فالإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء، وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهج إسلامي قرآني، فهم جنوده وأنصاره وأعوانه. وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله»[٥].

وقد أوضح حسن البنا في هذا الخطاب موقف الإخوان

---

(٣) انظر كتاب محمد شوقي زكي: **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، الطبعة الأولى صدرت عام ١٩٥٤ والثانية عام ١٩٨٠ عن دار الأنصار، القاهرة، ص٢٠٨.

(٤) **الرسائل**، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٥٨.

(٥) **الرسائل**، رسالة المؤتمر الخامس، ص١٧١.

المسلمين من الدستور المصري، والقانون المصري، والوحدة القومية، والوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، والخلافة، والهيئات، وجماعة الشبان المسلمين، والأحزاب، ومصر الفتاة، والدول الأوروبية.

وكان الشيخ الإمام قد كتب لنظام الكتائب رسالة اسمها «رسالة المنهج» يبدو أنها سحبت لتضمنها أموراً لا تريد الجماعة إبرازها (ولعلها تفسر الصفحات الناقصة من المذكرات عن المؤتمر الرابع الذي فيه تأسست الكتائب). ثم نشر البنّا رسالته المعنْونة «رسالة التعاليم»، ابتدأها بالصلاة والسلام على الرسول «إمام المتقين وقائد المجاهدين»، ووجّهها «إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسموّ دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها ويموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة. وهي ليست دروساً تُحفظ ولكنها تعليمات تُنفّذ. أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات»[٦].

وكان المؤتمر السادس آخر المؤتمرات (انعقد في ١١ ذي الحجة ١٣٥٩ الموافق ٩ كانون الثاني/يناير ١٩٤١ في دار المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة) حيث استغني عن أسلوب المؤتمرات بنظام الهيئة التأسيسية، والمكاتب الإدارية، وقد تكوّنت الهيئة التأسيسية من مئة عضو. وأُنشئ نظام الأُسَر بعد ذلك في أيلول/سبتمبر ١٩٤٣. وهذا النظام يقوم الارتباط فيه على أساس

(٦) الرسائل، رسالة التعاليم، ص٢٦٧. أعتقد أن هذا الكلام الواضح في تمييز فئة مجاهدة من بين الإخوان، هو الأساس النظري والعملي لكل ما سمي لاحقاً بالنظام الخاص والجهاز السري وغير ذلك.

الأخّوة والحب والإيثار والتعاون، وهو يستجيب للمرحلة الجديدة، إذ بدأت بوادر الصدامات والصراعات مع الأحزاب ومع القصر، إلى جانب المعركة الكبرى في فلسطين وضد الإنكليز. وتتكون الأسرة من خمسة أفراد. وللأسرة نقيب هو الذي يتصل بالقيادة المحلية.

وتتكون من كل أربع أسر عشيرة، يرأسها نقيب الأسرة الأولى من أسر العشيرة.

ويتكون من كل خمس عشائر رهط. ويتكون من كل خمسة رهوط كتيبة.

وتجتمع الأسرة أسبوعياً خارج الشعبة في منازل الأعضاء بالتناوب.

كما يمكن رصد تطوّر جماعة الإخوان المسلمين من خلال الشركات الإسلامية التي أسسوها ونذكر منها ما يأتي:

١ ـ شركة المعاملات الإسلامية تكونت سنة ١٩٣٩، وقد قامت بإنشاء خطوط نقل وأقامت مصنعاً كبيراً للنحاس ينتج وابور غاز كامل، وقطع غياره المختلفة، راجت في الأسواق المحلية والخارجية.

٢ ـ الشركة العربية للمناجم والمحاجر تكونت في سنة ١٩٤٧.

٣ ـ شركة الإخوان المسلمين للغزل والنسيج، تأسست هذه الشركة سنة ١٩٤٨، وكانت تنتج فيما تنتج الأقمشة الحريرية، وكانت منتجاتها تباع بأقل من أسعار أي بضاعة أخرى من مثيلاتها.

٤ ـ شركة المطبعة الإسلامية التي تسمى شركة الإخوان للطباعة.

٥ ـ شركة الإخوان للصحافة وقد صدر العدد الأول من الجريدة اليومية في أيار/مايو سنة ١٩٤٦.

٦ ـ شركة التجارة والأشغال الهندسية بالإسكندرية.

٧ ـ شركة التوكيلات التجارية، توسعت أعمالها حتى شملت التجارة والنقل والإعلان، وقامت الشركة بعمل مشروع اقتصادي تعاوني تكفل به اللوازم المنزلية والسلع الاستهلاكية للإخوان بأسعار الجملة.

٨ ـ شركة الإعلانات العربية، وقد أنشئت قبل الحلّ بنحو عام وكانت أعمالها تشمل النشر بالصحف، والدعاية بالسينما، وعمل الرسوم الفنية، وأغلفة الكتب والمجلات وتصميم لافتات وواجهات المحال[٧].

وقد كانت جميع الشركات الإخوانية السابقة موزعة أسهمها على مجموعة كبيرة جداً من المساهمين، بعكس ما ألف الناس في الشركات الكبيرة في مصر، التي كان يتحكم فيها ويملك غالبية أسهمها قلة من الرأسماليين. ولعل أوضح مثال لذلك هو شركة الإخوان المسلمين للغزل والنسيج، فقد كان عدد المساهمين (٥٥٠) مساهماً ومعظمهم من العمال الذين كانوا يساهمون بمبلغ ٢٥ قرشاً شهرياً[٨]. ويبدو أن هذا العمل الأهلي الجبار كان

---

(٧) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني من كتاب محمد شوقي زكي، **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، م.س، ص٢٠٨.

(٨) م.ن، ص٢١٢.

استمراراً للتقليد المصري والإسلامي في دور وفاعلية المجتمع الأهلي واستقلاله عن الدولة وأجهزتها البيروقراطية، مما يحتاج أيضاً إلى دراسة خاصة.

# الانشقاق الأهم والأخطر
# شباب سيدنا محمد

في الفترة ما بين المؤتمر الثاني (١٩٣٣) والمؤتمر الخامس (١٩٣٩)، شهدت الجماعة توسعاً في الاستقطاب طال فئات واسعة من الشعب المصري وخصوصاً في الجامعات وفي الأزهر؛ ثم مع العمل التطوعي لتشجيع الصمود في فلسطين (وتأييد الإضراب العام الكبير ١٩٣٦) وتشكيل لجان الدعم لفلسطين في كل أنحاء مصر. وخلال مرحلة الصعود التاريخي هذه صدرت مجلة **النذير** كما اتفق البنّا مع ورثة رشيد رضا على إصدار مجلة **المنار**. غير أن الجماعة شهدت بعد المؤتمر الخامس، وفي خريف ١٩٣٩، قبيل اندلاع الحرب العالمية بأيام قليلة، خلافات داخلية أسفرت عن انشقاق مجموعة صغيرة شكّلت فيما بعد «جمعية شباب سيدنا محمد». وأهمية وخطورة هذا الانشقاق تكمن في الغموض الذي أحاط به (وما يزال يحيط به حتى اليوم، إذ لا نجد أي وثيقة أو مذكرات أو شهود تتحدث عن الموضوع وخلفياته وأسبابه)، وفي استمرار الجمعية المنشقة في العمل إلى يومنا هذا، وفي كونها كانت وما تزال مرجعاً أساسياً من مصادر تكوين التيار الجهادي في مصر. وقد لخص محمود أبو زيد عثمان في نشرة **النذير** التي سيطر عليها

المنشقون سبب الخلاف في أمور عديدة، منها: إنفاق أموال حصلت عليها الجماعة من خلال حملات الدعم لأبناء فلسطين، وتعطيل المرشد العام حسن البنّا لمبدأ الشورى داخل الجماعة، وقرار جماعة الإخوان الاشتراك في الانتخابات النيابية، وموالاة البنّا للقصر ولشخص علي ماهر تحديداً[1].

(١) انظر: زكريا سليمان بيومي، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٧٥ ـ ٢٧٧.

# على الطريق
# فلسطين

لا يمكن فهم التطور في نظام القوّة الإخواني وفي العلاقات بين الإخوان والجيش بمعزل عن مجريات القضية الفلسطينية[1]، التي بدأت تطل برأسها داخل المجتمع المصري بعد ثورة الـ٣٦، وبسبب من علاقة المرشد والإخوان بالقيادات الفلسطينية وعلى رأسها المفتي الحاج محمد أمين الحسيني. وقد بحثت كثيراً في وثائق البنّا والإخوان فلم أعثر على أي موقف جهادي متميّز ما بين عام ١٩٣٦ و١٩٤٧ باستثناء برقية البنّا الى المؤتمر العربي الذي انعقد في بلودان في ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧ لنصرة شعب فلسطين، يُعلن فيها «استعداد جماعة الإخوان المسلمين للدفاع عن فلسطين بدمائهم وأموالهم»[2]. وقد استفاض الإخوان لاحقاً في الكتابة عن دورهم الكبير في نشاطات دعم فلسطين وبالتحديد في المؤتمر العربي من أجل فلسطين.

(١) لمعلومات تفصيلية أوفى عن الإخوان وفلسطين انظر دراستنا: **الإخوان وحركة فتح**.

(٢) محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧ ـ ١٩٤٨**، دار الفلاح، الكويت، ط ٢، ١٩٨٩، ص٤٣٦.

وفي نشاطات البنّا والإخوان خلال فترة الحرب العالمية لا نجد أدنى إشارة إلى فلسطين. لا بل إن درسَي أو حديثَي الثلاثاء والخميس من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٩ وحتى آذار/مارس ١٩٤٠ (أي حتى صدور الأوامر العسكرية ومنع الاجتماعات بسبب الحرب) لم تتضمن أي درس أو حديث عن فلسطين. ولا يشذ عن ذلك سوى الرسالة الشهيرة والمهمة التي وجهها البنّا إلى رئيس الحكومة علي ماهر باشا (في ٢٠ شعبان ١٣٥٨هـ الموافق ٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٩) والتي تعرض موقف الإخوان من كل القضايا عند اندلاع الحرب، وهي تضمنت نقطة مهمة بخصوص فلسطين تدعو «الحليفة بريطانيا إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين، والسماح بعودة المهاجرين، والاعتراف لهذا الوطن العربي الباسل الكريم بكامل حقوقه غير منقوصة»[٣]. ثم تلاها مؤتمر فلسطين في لندن ورسالة من البنا إلى علي ماهر باشا تشكره على قرار حكومته «دفع إعانة للأسر الفلسطينية المجاهدة»، وتلفت انتباهه إلى أن «المسعى السياسي لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنساني على جلاله ورحمته»، وتعرض الرسالة لمطالب أربعة لحل القضية: «إيقاف الهجرة اليهودية»، و«العفو الشامل»، و«تأمين الإعانات والمساعدات والتعويضات»، وأخيراً وهنا الأهم «اعتراف بريطانيا باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها تعاقداً شريفاً على نحو ما حدث في مصر والعراق مثلاً»[٤]. ولن نغوص في تحليل تلك المرحلة، ولكن الواضح أنّ البنا كما الإخوان كانوا يناورون سياسياً على ما تقتضيه السياسة في زمن الحرب الكبرى من

(٣) المذكرات، ص٢٦٧.

(٤) المذكرات، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

جهة، وصعود الشيوعية والقومية من جهة أخرى. فلماذا كان إنشاء الجوالة والكتائب إذن؟ هل كان لأمر آخر غير فلسطين؟ وهل كان البنّا يلجأ إلى التقية؟ ينقل ميتشل عن أحمد أنس الحجاجي(٥) أن البنا «صرّح عام ١٩٣٨ جواباً على تساؤل أحد الشبان من ذوي الميول الثورية من الجماعة حول وسائل الإصلاح والتحرير بأنه من الخطأ في مواجهة القانون أن يكون الإنسان صريحاً، وأن السرّية إجراء ضروري في الفترة الأولى من عمر أي حركة للحفاظ على صمودها وضماناً لاستمرارها»(٦).

وبحسب الوثائق المصرية، نرى أنه خلال الأعوام ١٩٤٠ - ١٩٤٥ توقف كل نشاط إخواني وغير إخواني بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، لتنطلق مرة جديدة حملات الإخوان من أجل فلسطين مع انتهاء الحرب. غير أن الدكتور توفيق الشاوي وكان أحد أبرز رجال «قسم الاتصال بالعالم الاسلامي» الذي أسسه حسن البنّا كذراع خارجي للإخوان، يقول بأن الحرب العالمية الثانية «كانت فترة نشاط كبير للإخوان بالنسبة إلى قضية فلسطين». وهو يوضح مغزى هذا الأمر بقوله: «وكان أغلب نشاطنا في الحقل السياسي خاصاً بقضية فلسطين، وخصوصاً لأن المفتي الحاج أمين الحسيني كانت له علاقة بالاخوان المسلمين عن طريق الهيئات الإسلامية في فلسطين». غير أنه لا يذكر سوى واقعة سفره للدراسة في باريس عام ١٩٤٦ كدليل على هذا النشاط السياسي، إذ «أفهمه»

---

(٥) صاحب كتاب: **الرجل الذي أشعل الثورة**، القاهرة، ١٩٥٢، ويبدو أن الكتاب صدر بُعيد ثورة يوليو ١٩٥٢، محاولاً التوفيق بينها وبين الإخوان وأبراز دورهم في إشعالها.

(٦) ميتشل، ج١، ص٦٩.

الشهيد حسن البنّا «أن قضية فلسطين ستبقى هي مهمتي الأولى، حيث إن المفتي الأكبر الحاج أمين معتقل هناك تحت الإقامة الجبرية، وهدفنا هو مساعدته ليقوم بدوره في قيادة الجهاد الفلسطيني الذي كان هو محور نشاط الإخوان في تلك الفترة»[٧].

وقد أشار البنا إلى نشاط الإخوان في تلك المرحلة، قائلاً بأن الإخوان وقفوا على مناصرة فلسطين «كل جهودهم مالياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال»[٨]. ولكن يبدو أن فترة الحرب كانت مناسبة لبناء التنظيم السري الخاص أو الجناح العسكري للإخوان والقيام بتدريبات واستعدادات. وهو الأمر الذي فتح باب العلاقة بالضباط المصريين الأحرار من خلال عزيز المصري ومحمود لبيب وأنور السادات كما سنرى لاحقاً. كما يبدو كذلك أن فترة الحرب كانت مناسبة للتحرك خارج مصر وافتتاح فروع للإخوان في البلاد العربية وبالأخص فلسطين وسوريا ولبنان، وإقامة علاقات مع حركات التحرر والاستقلال في المغرب الكبير (تونس والجزائر ومراكش)[٩].

---

(٧) توفيق محمد الشاوي، مذكرات نصف قرن من العمل الاسلامي ١٩٤٥ ـ ١٩٩٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٥. وكان الحاج أمين الحسيني قد هرب من ألمانيا إلى فرنسا حيث وضعته السلطات تحت الإقامة الجبرية بعد تحرير باريس وسقوط حكومة فيشي.

(٨) البنا: مذكرات الدعوة، ص٢٢٢، وانظر مقالته في جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية، العدد ٦، السنة الرابعة، ١٩ أيار/مايو ١٩٣٦، ص١٩ ـ ٢٠.

(٩) توفيق الشاوي، أحاديث خاصة مع المرحوم توفيق الشاوي كنت أجريتها معه في القاهرة صحبة الإمام محمد مهدي شمس الدين على فترات وخصوصاً في٢٥ و٢٦ و٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩. وكانت تربطنا به صداقة جميلة ومحاورات أجمل. والدكتور توفيق الشاوي مولود عام ١٩١٨ بقرية الغنيمية ـ دمياط وهو أحد أعضاء الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين ممن رافقوا الإمام حسن البنّا. سافر عام ١٩٤٥م في بعثة إلى فرنسا =

في ذكرى وعد بلفور ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥ أقام الإخوان مظاهرات ضخمة فى جميع أنحاء مصر تأييداً لقضية فلسطين، كان عنفها وشمولها تعبيراً عن موقف المصريين عامة من قضية مصير فلسطين[١٠]. وفي عام ١٩٤٦ استمرت المقالات

---

= لدراسة الدكتوراه في جامعة باريس، وحصل عليها في نهاية عام ١٩٤٩ ليعود إلى مصر ويعين مدرساً بكلية الحقوق بجامعة القاهرة. في عام ١٩٥٤ أبعد عن الجامعة مع عدد كبير من الأساتذة. استدعته الحكومة المغربية للتدريس في كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم انتقل منها إلى تدريس الفقه المقارن في جامعة الملك عبد العزيز بجدة. أعيد لكلية الحقوق بجامعة القاهرة في عام ١٩٧٤م. تعاون مع «تنكو عبد الرحمن» عندما كان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي في إعداد اتفاقية تأسيس البنك الإسلامي للتنمية، ثم شارك دعاة الاقتصاد الإسلامي في تأسيس بنك فيصل الإسلامي بالخرطوم والقاهرة، وبقي عضواً بمجلس إدارة هذا البنك عشر سنوات، ونشر ثلاثة كتب عن الاقتصاد الإسلامي في التطبيق. أما الكتب القانونية والعلمية وكتب الثقافة الإسلامية، فهي ثمرة آراء جريئة وعناية خاصة تجمع قضايا الأمة الإسلامية وشعوبها جميعاً وفي مقدمتها شعب فلسطين المجاهد. بعد تقاعده استمر يعمل في المحاماة والاستشارات القانونية. توفي في ٨ نيسان/ إبريل ٢٠٠٩.

(١٠) المصدر نفسه، اللقاء بتاريخ ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩ وكذلك: فريد عبد الخالق، لقاء خاص، القاهرة، ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩. والدكتور محمد فريد عبد الخالق كانت تربطنا به أيضاً صداقة جميلة ومحاورات أجمل في القاهرة سنوات ١٩٩٥ ـ ٢٠٠٠ حيث كنا نتردد بصحبة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ونلتقيه مع الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد سليم العوا وغيرهم من تيار الوسط الإسلامي يومذاك. وفريد عبد الخالق هو من الرعيل الأول مع حسن البنّا، وعضو الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين، وعضو مكتب الإرشاد السابق. ولد في مدينة فاقوس شرقية بمصر في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٥ وانتقل مع عائلته بعد ذلك إلي مدينة القاهرة، وأكمل دراسته حيث تخرج عام ٣٦ من معهد التربية العالي. ود. فريد عبد الخالق شاهد على عصر الحركة الإسلامية منذ الأربعينيات وحتى يومنا هذا، جمع في دراسته العليا بين العلوم والرياضيات، والقانون والشريعة، وقد عمل مديراً عاماً لدار الكتب المصرية ودار الوثائق القومية في السبعينيات، ثم وكيلاً لوزارة الثقافة لشؤونهم. خطيب وشاعر وباحث ومفكر. له العديد من المؤلفات، فضلاً عن حلقاته الشهيرة على قناة الجزيرة (شاهد على العصر). حصل على درجة الدكتوراه من قسم الشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة عام ٢٠٠٩، وعن =

الصحفية القوية في صحف الإخوان، تكشف أبعاد القضية، وأصدر أحد رجالات الإخوان (هو المرحوم الأستاذ أنور الجندي) كتاباً تحت عنوان **كفاح الذبيحين: فلسطين والمغرب.**

غير أن الإخوان ينسبون لنفسهم أدواراً أخرى، منها على سبيل المثال توحيد منظمتي النجادة والفتوة في فلسطين في عام ١٩٤٧ (ودمجهما في منظمة اسمها منظمة الشباب العربي[١١] بعد خلاف بينهما «سارع خلاله الإخوان لرأب هذا الصدع والتوفيق بين المختلفين، وانتهت جهود الإخوان إلى إرسال الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان للشؤون العسكرية قائداً ومدرباً لهذه المنظمات، وتمكن بمساعدة الهيئة العربية في فلسطين من تكوين جيش ضخم من أبناء فلسطين، ولما أحس الإنكليز بذلك أخرجوه من فلسطين بالقوة »[١٢].

وحين صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية فى ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، أعد الإخوان لمظاهرة مصر الكبرى لتأييد فلسطين التي قارب عدد المشاركين فيها نصف المليون مواطن من قيادات ورجال الأزهر الشريف والجامعات المصرية والعمال، وانطلقت من داخل الجامع الأزهر،

---

= عمر يناهز ٩٤ عاماً وكان عنوان الرسالة «الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان»، وقد دخل بذلك الإنجاز موسوعة جينيس للأرقام القياسية بأنه أكبر باحث في السن يحصل على درجة الدكتوراه في العالم، متفوقاً على صاحب اللقب السابق الذى كان عمره ٩١ عاماً.

(١١) أحمد أبو رومية، دور القوات العربية غير النظامية في حرب فلسطين ١٩٤٨، قسم البحوث والدراسات السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، حزيران/يونيو ٢٠٠١، ص٨٣.

(١٢) المرجع السابق نفسه، وأيضاً: الإخوان وفلسطين، موقع الإخوان على الإنترنت، م.س.

وشارك الإمام الشهيد حسن البنّا في تنظيمها، حيث كان يقف على باب الأزهر ينادي بمكبر الصوت على كل فرقة من المشاركين بالعلم الذي يتبعها، ووصلت المظاهرات إلى ميدان الأوبرا. ومن القيادات والزعامات التي شاركت فيها، إضافة إلى حسن البنّا، رياض الصلح (لبنان) والأمير فيصل بن عبد العزيز (السعودية) والشيخ محمود أبو العيون (شيخ الأزهر) وأحمد حسين (زعيم مصر الفتاة) والقمص متياس الأنطوني، وعبد الرحمن عزام باشا ومحمد علوبة باشا، واللواء صالح حرب (رئيس جمعية الشبان المسلمين). وفي ميدان الأوبرا تحدث رؤساء الوفود وعدد من الشخصيات العامة؛ وكان مما جاء في كلمة الإمام الشهيد حسن البنا: «إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل الله في فلسطين، وهم على أتم الاستعداد لتلبية ندائكم». وفي هذا اليوم أعلن الإخوان فتح باب التطوع للجهاد في فلسطين، وتقدم الآلاف من شباب الإخوان من جميع محافظات مصر، ودبّت روح الجهاد وحب الاستشهاد في الساحة السياسية بصورة تدعو للفخر بأبناء الشعب المصري»[١٣].

ومن مذكرات المرحوم الدكتور توفيق الشاوي[١٤] نعلم بأن قسم الاتصال بالعالم الاسلامي لعب دوراً كبيراً في بلدان المغرب العربي لجهة التعبئة والتحريض حول قضية فلسطين وقضية التحرر والاستقلال. وقد لعبت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

(١٣) المعلومات من الصحف المصرية والإخوانية قمت باختصارها ومقارنتها بمعلومات موقع الإخوان المسلمين وكذلك بمعلومات الأستاذ فريد عبد الخالق، والأستاذ توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و٢٦ و٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩.

(١٤) الأستاذ فريد عبد الخالق، والأستاذ توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و٢٦ و٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩.

(الحديثة الولادة) دوراً كبيراً في هذا المجال بفضل الأمين العام السيد عبد الرحمن عزام (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦)، «وكانت علاقته وثيقة بالاخوان المسلمين وبالشهيد حسن البنا بصفة خاصة». ويعتقد الشاوي بأن «علاقة عزام بالبنا والاخوان وإخلاصه لقضية فلسطين وقضايا شمال أفريقيا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى عزله من الأمانة العامة عام ١٩٥٢ عقب حركة الجيش مباشرة من دون مبرر معروف حتى الآن»[١٥]. وبحسب توفيق الشاوي أيضاً فإن قسم الاتصال بالعالم الاسلامي لعب دوراً كبيراً في تهريب المفتي الحسيني من مكان إقامته الجبرية في ضواحي باريس (بوجيفال) إلى مصر[١٦].

وبعد تهريب المفتي إلى مصر والتي شارك فيها العمال الجزائريون في مرفأ مرسيليا (كما ساهموا بتمرير أسلحة فرنسية إلى لبنان خلال حرب فلسطين)[١٧]، استمرت الصلة بين جمعية أصدقاء فلسطين العربية في باريس والهيئة العربية العليا في فلسطين، وذلك من خلال مندوب المفتي هناك الدكتور يعقوب الخوري الذي افتتح مكتباً للهيئة في باريس، أو بواسطة السيد إميل خوري عضو الهيئة العربية والذي بقي إلى جانب المفتي طوال حياته[١٨].

وصلة الحاج أمين بالإخوان مؤكدة، وقد تقوت بتزويج ابنته

---

(١٥) الشاوي، مذكرات، م.س، ص٣٣.

(١٦) توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩.

(١٧) توفيق الشاوي، م.ن، ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩.

(١٨) توفيق الشاوي، أحاديث خاصة، ٢٧ شباط/فبراير ١٩٩٩ وقارن مع مذكراته، م.س، الصفحات ٥١ ـ ٦٢، والمهم في هذه المعلومات أن نرى كيف كان الإخوان في مصر وفلسطين يتعاملون مع أبناء وطنهم من المسيحيين ويسلمونهم مراكز كبرى في عملهم الوطني.

للإخواني أبي المكارم عبد الحي، وتم عقد القران في منزل ابنة حسن البنّا السيدة وفاء وزوجها القيادي الإخواني سعيد رمضان[١٩]. كما يذكر كامل الشريف أنه سمع شخصياً من البنا والحسيني أنهما كانا على تنسيق سياسي واسع جداً بما يشمل التعبئة الشعبية والنفسية وحتى جمع السلاح. كما كان هناك تنسيق عسكري بين الإخوان ومنظمة الجهاد المقدس التي كان يشرف عليها المفتي الحسيني وذلك في سنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨. وقد اجتمع الشريف مع حسن سلامة قائد منطقة يافا للتنسيق بتعليمات من البنا والحسيني معاً. كما يذكر يوسف عميرة أن الحاج أمين كان يحترم الإخوان وآراءهم، وكثيراً ما كان يستشيرهم[٢٠].

لكن معظم الذين كتبوا مذكراتهم من قادة الإخوان ورجالهم الكبار لا يذكرون أي مساهمة جهادية مسلحة للإخوان في فلسطين قبل عام ١٩٤٧ ولا أي تأثير جهادي على فكر تلك المرحلة. فعمر التلمساني يذكر اسم فلسطين في مذكراته حين يتحدث عن عالمية دعوة الإخوان، فيعطي الدليل عليها مشاركة الإخوان في الحرب في فلسطين[٢١]. أي أنه لا يتذكر مدى تأثير القضية الفلسطينية على أي تطور في تاريخ الإخوان. ومحمود عبد الحليم لا يتحدث عن فلسطين قبل عام ١٩٤٦ وذلك بمناسبة كلمة المرشد العام أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية، ثم بمناسبة مظاهرة القاهرة الكبرى في

---

(١٩) حاتم يوسف أبو زايدة، جهاد الإخوان في فلسطين حتى عام ١٩٧٠، دراسة غير منشورة، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٩، ص١٥.

(٢٠) أبو زايدة، ص٢٥.

(٢١) ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، القاهرة، لا.ت. وانظر الكتاب نفسه في دار الطباعة الاسلامية، القاهرة، ١٩٨٥، والمقطع المذكور هو في خمسة أسطر آخر صفحة ٥٨ ـ ٥٩ من طبعة ١٩٨٥.

١٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧ بعد قرار التقسيم، وصولاً إلى الحرب (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) «التي شارك فيها الإخوان بقوة، والتي كانت السبب المباشر في الصدام مع حكومة النقراشي وما أدى إليه لجهة اغتيال البنا نفسه»[٢٢] فيبدو وكأن القضية الفلسطينية لم يكن لها ذلك التأثير الكفاحي والمسلح على خيارات الإخوان الداخلية والعربية[٢٣]. وهو أمر غريب إذا لاحظنا كل ما سبق وكذلك اندفاعتهم بعد ذلك في حرب فلسطين إلى جانب الضباط الأحرار. فهل كان ذلك الاندفاع بسبب مشاركة الضباط الأحرار ودورهم المميز في حرب فلسطين؟ وهل كان الإخوان والضباط وجهين لعملة واحدة؟ ولعل المفيد تسجيله هنا هو تلك الروابط والعلاقات بين النخب السياسية الوطنية في المشرق والمغرب والتفافها حول فلسطين من جهة، وتعاطفها مع الإخوان من جهة أخرى. والتفسير الوحيد لذلك هو أن الإخوان ما كانوا يومها بعد تنظيماً أصولياً أو حزباً سلطوياً. ومن ثم فإن تطور الحركات الوطنية المشرقية والمغربية كان في ارتباط وثيق مع مناخ عام وطني استقلالي شارك فيه الإخوان يومها، الأمر الذي يفسر علاقتهم بالضباط الأحرار من جهة، وبمؤسسي حركة فتح من جهة أخرى.

---

(٢٢) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، م.س، الفصل الثاني من الباب الرابع من الجزء الأول، ص٤٠٩ ـ ٤٣٥.

(٢٣) نذكر هنا على كل حال أن فيلسوف القومية العربية ومنظّرها الأول أبو خلدون ساطع الحصري، لا يذكر فلسطين وقضيتها ولا مرة واحدة في مؤلفاته التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، في أكثر من ١٦ مجلداً. فكأنها لم تكن ذات أهمية في تبلور القومية العربية، وذلك على عكس ما قدمه لتلاميذه وحوارييه كل من علي ناصر الدين وقسطنطين زريق ونقولا زيادة، في جامعة بيروت الأمريكية في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين.

# النظام الخاص أو التنظيم السري الجهادي

أصبح من المعروف اليوم أن «النظام الخاص» أو «التنظيم السري» هو مجموعة عسكرية أسسها حسن البنّا لإعداد الشباب المسلم لمواجهة الصهيونية في فلسطين والإنكليز في منطقة القناة. ولكن غير المعروف هو متى وكيف تأسس هذا التنظيم. والظاهر حتى اليوم أن النواة الأولى لهذا النظام تشكلت من عبد الرحمن السندي ومحمود صبّاغ ومصطفى مشهور (المرشد العام الأسبق للإخوان) وذلك بناء على توجيه الإمام البنّا بضرورة إعداد جيش مسلم لمقاتلة العدو. ولم يتم العمل بهذا القرار إلا في عام ١٩٣٩، أي عند اندلاع الحرب العالمية الثانية وما حملته من أجواء مناسبة عسكرياً وسياسياً وتعبوياً للحديث عن إمكانية هزيمة الإنكليز والصهاينة.

يقول إسحق الحسيني: إن «فكرة الجهاد والاستعداد له بالتسلح والتدرب وُلدت في السنة التي وُلدت فيها الجماعة. أي إن البنّا أدخل هذا العنصر في حسابه منذ استكمال صورة الدعوة في ذهنه، وإنه طوى هذا العنصر في دخيلة نفسه ولم يطلع عليه أحداً إلى أن رأى الوقت ملائماً للكشف عن بعض جوانبه ففعل»[١].

---

(١) الحسيني، ص٢٤٧.

وأبعد تاريخ يرد إليه الاستعداد للجهاد يرجع بحسب الحسيني إلى عام ١٩٣٩ حين افتتح البنا مسجداً في رواق العرب «كان بداية قصة الجهاز»[٢].

كما ينقل الحسيني عن السادات أن البنا كان يجمع السلاح منذ عام ١٩٤٠[٣]. ويروي الحسيني أيضاً أن رسالة أبي الأعلى المودودي المسماة **الجهاد في سبيل الله**[٤] كانت من الرسائل التي راجت كثيراً وسط الإخوان وكان لها تأثير كبير في توجيههم[٥]. وفي كتاب **محاكمات الثورة**[٦] نقرأ في إفادة أحد الإخوان من قادة النظام الخاص (د. خميس حميدة) أن صاحب فكرة النظام الخاص هو الصاغ محمود لبيب لا البنّا، وأنه استعان على تنظيمه ببعض الضباط الألمان،.وأن بدايته ترجع إلى وقت اشتغال الإخوان بالسياسة وقوة دعوتهم[٧]. وقد خلصت بعض مداولات المحكمة إلى أن الإخوان عقدوا العزم على إنشاء جيش إسلامي للدفاع عن الدولة الإسلامية التي كانت من أعز أمانيهم، وأن سندهم في ذلك

---

(٢) الحسيني، ص٢٤٨، نقلاً عن مجلة التحرير، ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤، ص١٠.

(٣) م.ن، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩، ولا يذكر الحسيني مرجعه عن رواية السادات.

(٤) ترجمت من الأوردية إلى العربية ونشرتها لجنة الشباب المسلم في القاهرة في ٢٣ صفحة، لا.ت.

(٥) الحسيني، ص٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٦) إعداد كمال عبد الحميد كيره، رئيس مكتب شؤون محكمة الثورة، وهو المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الثورة، صدر عن وزارة الإرشاد القومي في حزيران/ يونيو ١٩٥٤ في عدة كتب.

(٧) **محاكمات الثورة**، ص٣٣ ـ ٣٤، ١٢١ و١٥٦. وكذلك مجلة التحرير عدد ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤، ص٧، وعدد ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ ص١٠.

هو فريضة الجهاد التي نص عليها القرآن[8].

ويحمل كتاب **مجموعة رسائل الإمام البنا** رسالة بعنوان «رسالة الجهاد»[9] لا يرد ذكرها في مذكرات الدعوة والداعية، ولا يرد في كل كتابات الإخوان أي تحديد لمكان وزمان نشرها. والشيء المهم في الرسالة التي تقع في ١٦ صفحة هو خاتمتها الموقعة باسم حسن البنّا بخلاف بقية الرسائل المنشورة في الكتاب دون توقيع، طالما أن الكتاب هو **مجموعة رسائل الإمام**. وخاتمة الرسالة تدعو الإخوان إلى «العمل للموتة الكريمة» لكي يظفروا «بالسعادة الكاملة». ذلك «أن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة»[10]. أما في مقدمة الرسالة فيقول البنا: إن الله «فرض الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفرّ معها، ورغّب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يُلحق في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم في جهادهم، ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحه لسواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى، وتوعّد المتخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات، ووبّخهم على الجبن والقعود ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعدّ لهم في الدنيا خزياً لا يُرفع إلا إن جاهدوا، وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه. واعتبر القعود والفرار

---

(٨) **محاكمات**، كيره، م.س، ١/ص٣٣ ـ ٣٤ ـ ٧٧ ـ ١٠١ ـ ١٢١ ـ ١٥٦.

(٩) **الرسائل**، ص٢٤٨ ـ ٢٦٤.

(١٠) **الرسائل**، ص٢٦٤.

كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات»[11].

ولا شك بأن فكرة الجهاد وكل ما يتعلق بها لم تكن خارج تفكير البنّا أو الإخوان، خصوصاً مع تأثير كتابات المودودي والثورة في فلسطين والمقاومة ضد الإنكليز. وينتج عن ذلك أن الاتجاه إلى قيام تنظيم خاص لتأطير الفكرة وتحقيقها ليس بمستبعد في تلك الأيام تحت تأثير المفهوم أولاً، ثم الحماس الوطني الجارف ثانياً، والمنافسة مع أحزاب وقوى تتباهى بتنظيماتها الحديدية وقمصانها السود وعملياتها الفدائية ثالثاً. ويبدو أن العام المتفق عليه كتاريخ رسمي لبداية التنظيم السري هو ١٩٤٠[12].

يقول محمود عبد الحليم في مذكراته[13] إن النظام الخاص قد أنشئ عام ١٩٤٠، وإن قيادته الأولى تشكلت من محمود عبد الحليم نفسه كرئيس، ومن صالح عشماوي، وحسين كمال الدين، وعبد العزيز أحمد، والشيخ حامد شربت. ثم يقول محمود عبد الحليم إنه هو الذي اختار عبد الرحمن السندي لقيادة النظام الخاص وذلك بسبب اضطراره للعمل خارج القاهرة. وإنه أحضر السندي ليبايع البنّا أمامه شخصياً، وإن أبرز بنود البيعة كانت عدم القيام بأية خطوة عملية إلا بعد الرجوع إلى لجنة القيادة ثم إلى حسن البنّا شخصياً[14]. ولا يذكر عبد الحليم أبداً اسمي مصطفى

---

(١١) م.س، ص٢٤٨.

(١٢) بحسب محمود لبيب وخميس حميدة انظر: الحسيني، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩. وانظر خصوصاً: أنور السادات، **البحث عن الذات**، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣٤ ـ ٤٦.

(١٣) **أحداث صنعت التاريخ**، ج/١، م.س، ص٢٥٨.

(١٤) م.ن، ص٢٦٢.

مشهور ومحمود صبّاغ. وهذا ما يشير إلى حقيقة أن النظام الخاص كان من تأسيس حسن البنّا شخصياً وخاضعاً له تنظيمياً، وعلى أساس الخلايا العنقودية بحيث لا تعرف خلية أعضاء الخلايا الأخرى، فتعتقد أنها هي الأولى أو ربما الوحيدة، وتتوسع الخلايا بالتنظيم عنقودياً. وفي ذلك يقول إسحاق الحسيني: إن البنّا كان «مسيطراً على الجهاز بقوة شخصيته وما عرف عنه من ذكاء ودهاء. ولذلك كان الفريق الأول الذي اختاره ليكون نواة أول جهاز أساتذة جميع الذين تخرجوا في هذا النظام. وكان يدير الجهاز القديم ثلاثة هم البنّا وحسين كمال الدين وصالح العشماوي، وكان إبراهيم الطيب وكيل العشماوي، وكان عبد الرحمن السندي الرئيس»[15].

ويبدو أن عبد الرحمن السندي هو الذي اختار محمود الصبّاغ ومصطفى مشهور لمعاونته، وأنهم سيطروا بالتدريج على قيادة النظام الخاص نظراً لظروف بقية الأعضاء السالفي الذكر الذين كانوا مرتبطين بأعمال تشغل وقتهم وجهدهم، والذين تحولوا رويداً إلى هيئة استشارية أو إلى جزء من هيئة استشارية عليا كان لها اسمياً سلطة القرار. ويقول محمود الصبّاغ أحد قادة الجهاز[16] إن أول قيادة للنظام الخاص تشكلت من السادة: عبد الرحمن السندي، مصطفى مشهور، محمود صبّاغ، أحمد زكي حسن، أحمد محمد

---

(١٥) الحسيني، م.س، ص٢٥٢. وقارن مع مجلة التحرير عدد ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤، ص٦ و٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ص١٦، وذلك نقلاً عن مضبطة محاكمة الجهاز، وفي كتاب محاكمات الثورة ج/١ ص١٦٩ ـ ١٧٠ قول إبراهيم الطيب إنهم كانوا أعدوا ثلاثة آلاف عضو من الإخوان وإنهم كانوا يهدفون لكي يصبح ثلاثة أرباع الإخوان أعضاء في الجهاز.

(١٦) كتابه: حقيقة النظام الخاص، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٩، ص١٤٥.

حسنين. وإنه إلى جانب هؤلاء تشكلت هيئة استشارية ضمت صالح عشماوي والشيخ محمد فرغلي، ود. عبد العزيز كامل، ود. خميس حميدة، ود. محمود عساف. ويضيف الصبّاغ بأن هؤلاء كانوا من رجال الدعوة العامة (أي من عناصر الإخوان العلنية والمشهورة)، إلا أنهم كانوا مؤتمنين على سر وجود النظام الخاص. (لاحظ إغفاله اسم محمود عبد الحليم تماماً).

ويبدو أنه حدث بين عامي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ تغيير في قيادة النظام الخاص، بدليل أن محمود الصبّاغ يقول إن أحمد حجازي كان عضواً أصلياً في قيادة النظام الخاص قبل أن يحل محله أحمد زكي حسن. وإن مصطفى مشهور ومحمود الصبّاغ تركا قيادة النظام الخاص طوال عام ١٩٤٤ بسبب عملهما خارج القاهرة[١٧].

أي إن المرحلة منذ تأسيس النظام الخاص ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت مرحلة متقلبة، ولم تثبت قيادة النظام الخاص لعبد الرحمن السندي وجماعته إلا بدءاً من عام ١٩٤٦ وهو العام الذي شهد بيعة عبد الناصر لعبد الرحمن السندي كما سنرى لاحقاً.

وكان الأسلوب المتبع عند تأسيس النظام الخاص هو أن يربط بعبد الرحمن السندي كل من يرى نفسه مهيئاً لأداء فريضة الجهاد. وكانت رسالة «الجهاد» التي كتبها الإمام البنّا هي نفسها رسالة النظام الخاص أو ميثاقه. وكان أول ما يتعاهد عليه من يتم ربطه بهذا الجيش هو تميّز النظام الخاص عن الدعوة العامة بالسرية في كل أقواله وأفعاله. وكان المستشارون الخمسة لا يتحملون مسؤولية أية أعمال تنفيذية في النظام الخاص ولا يتصل أحد منهم اتصالاً

---

(١٧) الصباغ، م.س، ص١٤٦.

مباشراً بأي عضو من أعضاء التنظيم، غير أنه يمكنهم الاشتراك في اجتماعات قيادة النظام إذا دعت الحاجة إلى ذلك. وقد قام عبد الرحمن السندي ومحمود الصباغ وحسين كمال الدين وعلام محمد علام بوضع الخطوط الرئيسية والتفصيلية لقانون تكوين النظام الخاص بحسب رواية محمود الصباغ نفسه. وكان أول ما يختبر به جدية العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله تكليفه بشراء مسدس على نفقته الخاصة. وقد لخصت محكمة جنايات القاهرة في حكمها الصادر عام ١٩٥٠ بخصوص قضية النظام الخاص، وفي أوراقها الخاصة بقضية السيارة الجيب ومن واقع المستندات التي ضبطت في القضية (وانتهت ببراءة الإخوان كما النظام الخاص)، لخصت المحكمة مراحل تكوين النظام الخاص فقالت إنها تتم في ٨ جلسات وتنتهي بعقد البيعة. الجلسة الأولى تكون للتعارف، وفيها يكون السؤال عن نواحي الجهاد وعلى الأنشطة التي يشترك فيها الفرد والأعمال التي ساهم فيها، وعن صحته وسلوكه مع النص بالاهتمام بالصحة وبكتمان السر. وتكون الجلسة الثانية روحية تشمل تلاوة القرآن والمأثورات والصلاة، مع تأكيد الثقة بالقيادة واستيضاحات لمعرفة مدى اقتناع الفرد بالعمل، وتوجيهات خاصة بالكتمان والصمت والطاعة وحسن تكييف الأمور وتغطية المواقف والهرب من التورط. أما في الجلسة الثالثة فتعطى التوجيهات اللازمة لتأدية مهمة عملية مع الطلب إلى المكلف كتابة وصيته وتسليمها للقائم بالتكوين قبل الجلسة الرابعة، وهي المخصصة لاختبار الفرد عبر تكليفه الصامت وفي مكان ناء مع تكليف شخص آخر لمراقبته. أما الجلسة الخامسة فتكون لتكليفه بعمل له أهمية، ولرسم خطة سرية وتسليمه المواد المطلوب استخدامها وذلك بعد دراسة تفصيلية. وتنعقد الجلسة السادسة

لدراسة العبرة من التكليف ونتائجه ووجوب دراسة كل شيء قبل أن يحدث وإعداد إجابات لكل الأسئلة المنتظرة وهكذا. وتكون الجلسة السابعة هي جلسة التنفيذ العملي، إذ يقوم المراقب بإيقاف المنفذ في آخر لحظة وإفهامه بالعدول عن الفكرة مع توضيح الأسباب. وفي حال النجاح في هذا الاختبار يقدم الشخص للبيعة في القاهرة بصحبة باقي أفراد جماعته ويكون هذا اللقاء هو الأول، حيث يظهر ارتباط أفراد الجماعة معاً وقت البيعة. أما في حال الفشل في الاختبار فيتم إلحاق الفرد بأسرة من أسر الإخوان أو ما شابه ذلك من الهيئات والأعمال العامة[18].

ويروي محمود الصباغ أحد قادة النظام الخاص كيف أن البيعة كانت تتم في منزل بحي الصليبة، حيث يُدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسؤول عن تكوينه والأخ عبد الرحمن السندي، فيدخلون غرفة مظلمة ويجلسون على بساط في مواجهة أخ مغطّى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض طويل يخرج من جانبيه يداه ممتدتان على منضدة منخفضة (طبلية) عليها مصحف شريف. وهذا الأخ يتلقى البيعة نيابة عن المرشد العام فيقوم بتذكير القادم الجديد بآيات الجهاد وبضرورات السرية، مع بيان شرعية ذلك كله، ثم يخرج من جانبه مسدساً ويطلب من المبايع أن يمسك به مع المصحف الذي يبايع عليه. فإذا قبل شروط وتكاليف البيعة (تقوى الله في السر والعلن، والصلاة والخشوع، والجماعة في المسجد، والكتمان والصمت والجزاء والطاعة للقيادة ولأمراء

(١٨) محكمة جنايات القاهرة، الحكم الصادر في قضية النيابة العمومية رقم ٣٣٩٤ الوايلي ١٩٥٠، ورقم ٢٢٧ سنة ١٩٥٠ كلي، سيارة الجيب المتهم فيها عبد الرحمن السندي وآخرون. انظر أيضاً محمود الصباغ، م.س، الصفحات١٢٧ ـ ١٣١، وإسحاق الحسيني، م.س، خصوصاً الصفحات ٢٤٤ ـ ٢٥٥.

الجماعات، والتذكير بالموثق على مواصلة الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد) كلف بأداء القسم على الانضمام عضواً في الجيش الإسلامي والتعهد بالسمع والطاعة. ويذكر الصبّاغ أن المكلف بأخذ البيعة نيابة عن المرشد العام (كان صالح عشماوي وكيل جماعة الإخوان في تلك الأيام)[١٩]. وتأكيداً لما سبق ذكره نورد فيما يلي شهادة حية لكمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة المصرية، جاءت في خطاب له إلى المشير عبد الحكيم عامر يقول فيه: «وأنت تعلم الظروف التي جمعتنا بجمال عبد الناصر، وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس في حجرة مظلمة في حي الصليبة مع المرحوم عبد الرحمن السندي»[٢٠].

وبعد أخذ البيعة تبدأ مرحلة التكوين التي تستمر لأكثر من عام كامل، وتعطى فيها دروس رياضية وعسكرية وأمنية وسياسية وثقافية وقانونية ودينية، على امتداد خمس عشرة حصة على الأقل. وأبرز ما في هذه المراحل التكوينية؛ الرحلات الرياضية، ودروس الإسعاف، ودروس قيادة الدراجة والسيارة، والسباحة والتجديف والمصارعة والملاكمة، ودروس تقدير المسافات ورسم الخرائط وقراءتها واستعمال البوصلة، وكتابة تقارير ومناقشتها، وتلخيص كتب ومناقشتها، ودراسة مدينة أو حي وطرق المواصلات وأقسام البوليس والتعقب والملاحقة. وأخطر ما في أوراق مرحلة التكوين أنه ليس لأحد مهما كانت منزلته بين الجماعة الحق في رفع أي أمر إلى القيادة إلا عن طريق رقم ١ (أي أمير المجموعة) ومخالفة ذلك ينظر فيها مجلس التحقيق. كما أن أية خيانة أو إفشاء سر

---

(١٩) محمود الصباغ، م.س، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢٠) نقلاً عن كتاب سامي جوهر: **الصامتون يتكلمون**، المكتب المصري الحديث للنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص٩٧ ـ ٩٨.

بحسن قصد أوبسوء قصد يعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة. كما جاء في اللائحة العامة للتنظيم أن لأمير الجماعة حق الطاعة التامة على جميع أفراد جماعته، وأنه يستشير أفراد جماعته دون أن يكون عليه إلزام (والمقصود بالجماعة هنا المجموعة الواحدة من مجموعات التنظيم) وأن على الفرد أن لا يقدم على أي عمل كالزواج والطلاق قبل أن يحصل على إذن القيادة عن طريق أمير الجماعة. وأن الأمير والأفراد متضامنون في المسؤولية في كل ما يحدث سواء أساء إلى المجموعة وحدها أو إلى النظام كله. وجاء في قانون تكوين النظام الخاص أن قيادته تشكل من خمسة أفراد يمثلون الصف الأول، يرأس كل منهم مجموعة تتكون من خمسة أشخاص، وكل فرد من هؤلاء الخمسة يرأس مجموعة أخرى تتكون أيضاً من خمسة وهكذا. وبهذا التسلسل يكون الأفراد الذين يمكن أن يتصل بهم أي عضو من أعضاء النظام فيما يتصل بأعماله لا يزيد على ثمانية في أوقات السلم(٢١).

تشكلت قيادة النظام الخاص إذن من عشرة أشخاص (خمسة قياديين وخمسة مستشارين)، يعاونها مجلس أركان ولجنة فنية مهمتها وضع خطط تنظيم القوات ودراسة المعدات عملياً، وتحديد مميزاتها وطرق استعمالها وحفظها، ودراسة الأهداف ورسم خطة تنفيذها من زمان ومكان وقوات.. إلخ. ثم يأتي بعد ذلك دور الجنود ومهمتهم الاستعداد الروحي والعقلي والطاعة والتنفيذ(٢٢).

---

(٢١) أوراق محكمة جنايات القاهرة، م.س.

(٢٢) لمعلومات مفصّلة انظر: محمود الصباغ، م.س، وإسحق الحسيني، م.س.

# حسن البنّا والنظام الخاص

بالعودة التاريخية إلى ظروف الافتراق بين حسن البنّا وقادة النظام الخاص، لا بد لنا من العودة إلى قضية اغتيال المستشار الخازندار، إذ إن عمر التلمساني يجعل من الجهل وسوء الفهم، السبب الأساسي لتصرّف شباب النظام الخاص في اغتيال الخازندار. وهذا الأخير كان قاضياً حكم على بعض الشباب الوطنيين (وهم من الإخوان على ما يظهر بسبب رد فعل الجهاز) بالسجن عشر سنوات، لأنهم لاحقوا بعض ضباط الإنكليز وحاولوا قتلهم، في حين أنه تهاون في الحكم على مقاول ثري كان قد اعتدى على سبعة شبان وقتلهم (المجرم الشهير حسن قناوي). ويقول عمر التلمساني إن ثلاثة شبان من النظام الخاص أساؤوا الفهم في تصرف قانوني سليم (مبررات أحكام القاضي المذكور) ولجهلهم بالقانون اقترفوا جريمتهم دون وعي. وقد أزعج هذا الأمر حسن البنّا كثيراً وأحزنه وأوقعه في الحرج، لاسيما أن قيادة الإخوان لم تكن على علم بالأمر، وفوجئت به مثل كل الناس[1]. وحتى محمود الصباغ أحد قادة النظام الخاص، يشهد بكل صدق

---

(١) راجع: التلمساني، ذكريات، م.س، ص٣٥ ـ ٣٧.

وإخلاص بأن الإخوان المسلمين كجماعة يرأسها المرشد العام، والتنظيم الخاص كتنظيم عسكري سري، بريئان من هذا الحادث رغم أن منفذه هو رئيس النظام عبد الرحمن السندي. ولا ندري كيف يصف التلمساني والصباغ، السندي ورفيقَيه منفذي العملية (محمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ وهما من أعضاء النظام الأساسيين) بالشباب الجاهل؟ والسندي هو الرئيس والآمر المطاع؟ غير أن الثابت الأكيد أن حسن البنّا انزعج وتأثر بسبب الحادث، إذ اكتشف خروج السندي والنظام الخاص على كل ضوابط الجماعة وأولها الطاعة له والبيعة معه، ليتحول النظام الخاص إلى تنظيم مستقل يتبع السندي وهذا ما ظهر في أحداث لاحقة. وينقل الصباغ أيضاً[2] أن قيادة النظام الخاص عقدت محاكمة للسندي بحضور البنّا شخصياً وبقية الأعضاء التسعة. وأن البنّا أجهش بالبكاء ألماً وحزناً لهذا الحادث الذي يستوجب غضب الله لأنه قتل نفوساً بريئة من غير نفس ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥). وفي ذلك يقول التلمساني: «إن الإخوان ما فكروا يوماً في القوة كسلاح لتغيير أو انقلاب أو ثورة، وذلك لأنهم سلفيون وسلفيون بحق وفهم. والسلف رغم ما أثروا به الفكر من قمم وسعة واتساق؛ ينكرون استعمال العنف ضد الحاكم حتى ولو كان فاسقاً وظالماً»[3]. ولهذا فإن تأسيس النظام الخاص لم يكن إلا «للاستعداد للدفاع عن النفس وللحرب في فلسطين ولطرد الإنكليز من مصر. أما ما سوى ذلك فهو دعوة هيّنة وكلمة ليّنة وحجة مبينة. إن الإخوان حريصون على أن يكونوا خير بني آدم»[4].

---

(٢) في مذكراته، ص٢٥٥ إلى ٢٦٠.

(٣) التلمساني، ذكريات، م.س، ص٦٦.

(٤) م.ن، ص٧٠ ـ ٧١.

وينقل محمود الصباغ أن بعض كبار الإخوان اتخذوا من غضبة المرشد العام على حادثة قتل الخازندار، غضبة على النظام الخاص ككل وعلى رئيسه عبد الرحمن السندي على وجه الخصوص، وأخذوا يروجون أن المرشد العام عزم على حل النظام الخاص أو على إقصاء عبد الرحمن السندي من رئاسته[٥]. وفي حين ينقل الصباغ هذا الكلام، وهو كلام ردده كثيرون من قادة الإخوان (الهضيبي، التلمساني، فريد عبد الخالق، وغيرهم)، إلا أنه هو (أي الصباغ) ينفيه جملة وتفصيلاً، لا بل ويؤكد بقاء السندي على رأس النظام وتمتعه بثقة الإمام البنّا. والصحيح أن السندي ظل على رأس النظام الخاص وتعاون مع عبد الناصر بهذه الصفة، وحاول الانقلاب على قيادة الإخوان بعد انتخاب المرشد حسن الهضيبي في حادثة تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥١، وبهذه الصفة أيضاً، ما يشير إلى استمرار النظام الخاص، بعد حادثة الخازندار، وإلى استمرار السندي في رئاسته، ولكن من دون أن نتمكن من الحسم في معرفة الموقف الحقيقي للإمام البنّا من هذا الأمر. إلا أن أحداثاً أخرى جرت في حياة البنّا وقبل اغتياله تجعل من الممكن تصديق الرواية القائلة بأنه حلَّ النظام الخاص وأقال رئيسه من البيعة.

فقد شهدت الفترة الواقعة من ٢٠ حزيران/يونيو إلى ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨ عمليات تفجير واسعة النطاق طالت أماكن ومؤسسات وشركات لليهود أو للذين يشتبه بدعمهم للصهاينة في فلسطين، وذلك في غمرة تصاعد الصراع على أرض فلسطين. وفي تلك الفترة (مطلع تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨) أعلنت الحكومة المصرية أنها ضبطت مخزناً للأسلحة بالإسماعيلية، في

---

(٥) الصباغ، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

عزبة للشيخ محمد فرغلي قائد كتائب الإخوان في فلسطين. وتلا ذلك حادثة سيارة جيب ضبطت بالصدفة وفيها أوراق ووثائق تعود إلى النظام الخاص (١٥ تشرين الثاني/نوفمبر).

وقد استندت حكومة النقراشي باشا إلى ذلك لإصدار الأمر العسكري بحلّ جماعة الإخوان في منطقتي القنال والإسماعيلية، في وقت كان فيه الشهيد البنّا يؤدي فريضة الحج مع مجموعة من الإخوان، وكان متطوعو الإخوان يقاتلون على أرض فلسطين مع جيش مصر.

ويبدو اليوم أن النقراشي باشا كان على اتصال بالإنكليز، وأنه وافق على وقف الحرب في فلسطين، وعلى سحب الجيش المصري، وكان هذا يتطلب ضرب الإخوان، وهم القوة المقاتلة فعلياً في فلسطين. وبعد حادثة السيارة الجيب، صدر القرار العسكري رقم ٦٣ بتاريخ ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ والقاضي بحل جمعية الإخوان المسلمين وجميع فروعها، وتبع ذلك سحب القوات المصرية من فلسطين ووقف القتال نهائياً، وإيداع الإخوان في السجون واعتقال مجاهديهم في فلسطين، وإعادتهم إلى مصر لحبسهم في معتقل الهايكستيب. ووُضع الإمام البنّا تحت الرقابة العسكرية الإجبارية في منزله، وقطع عنه الهاتف وسحب منه سلاحه الفردي، واعتقل شقيقه الضابط عبد الباسط، الذي كان يرافقه ليحميه. وفي هذه الأجواء جرى اعتقال قادة النظام الخاص (السندي والصباغ ومشهور وأحمد زكي حسن وأحمد حسني). وبعد عزل البنّا عن قيادات وقواعد الدعوة، وإيداع العشرات من القادة في السجون والمعتقلات والقبض على قيادة النظام الخاص، استمر النقراشي باشا في تحديه لمشاعر المصريين والعرب، فأثار الضجيج حول الأوراق المضبوطة في السيارة الجيب معلناً أنها تثبت ضلوع

الإخوان في التآمر لقلب نظام الحكم. ونتيجة لهذا الشحن والتوتير من جانب الحكومة، حاول بعض الشبان من النظام الخاص، إحراق أوراق القضية داخل قاعة المحكمة. إلا أن المتفجرة كشفت وجرى تفجيرها خارج المحكمة؛ الأمر الذي سمح للحكومة بادعاء ضلوع الإخوان في عملية تفجير إجرامية كانت ستودي بحياة العشرات من المواطنين(٦).

لقد قام الشيخ حسن البنا بخلق شعور مكثف وعسكري للهوية الإسلامية عبر الحشد المتواصل للتفاصيل الدينية، وأشعل في أتباعه الحماسة الجهادية دون رابط. فالشيخ حسن البنّا لم يضع لمؤسسة الإخوان المسلمين التي كوّنها مرجعية لها حق الفصل في الأمور، وأطلق كل شيء للفتوى الفردية. ولهذا السبب أفلتت السيطرة منه. فقد بدأ النظام الخاص الجناح المسلح في تنظيمه سلسلة اغتيالات بغير علمه، وقاموا بقتل القاضي أحمد بك الخازندار في ٢٢ آذار/ مارس ١٩٤٨، وأعقبوه برئيس الوزارة محمود فهمي النقراشي في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨، ذاكرين عدة أسباب من ضمنها التفريط في فلسطين.

وشعر الشيخ حسن البنا بالورطة التي أوقعه فيها قادة النظام الخاص، فقام مستنكراً فعلتهم بكتابة مقال في صحافة ذلك الزمان بعنوان «بيان للناس» (صدر في صحف القاهرة صباح ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٩) قال فيه:

«لقد كان هدف دعوتنا حين نشأت، العمل لخير الوطن وإعزاز

---

(٦) لمزيد من التفاصيل حول تلك الفترة وأحداثها راجع: طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، خصوصاً الباب الأول من الفصل الثالث، والباب الخامس من الفصل الخامس.

الدين، ومقاومة دعوات الإلحاد والإباحية والخروج على أحكام الإسلام وفضائله، تلك الدعوات التي دوى بوقها وراجت سوقها في تلك الأيام. وإذا كان ذلك كذلك، فما كانت الجريمة ولا الإرهاب ولا العنف من وسائلها، لأنها تأخذ عن الإسلام وتنهج نهجه وتلتزم حدوده. ووسيلة الإسلام في الدعوة مسجلة في كتاب الله؛ قال تعالى في سورة النحل، الآية ١٢٥ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، والقرآن الكريم هو الكتاب الذي رفع من قدر الفكر وأعلى من قيمة العقل وجعله مناط التكليف، وفرض احترام الدليل والبرهان وحرم الاعتداء حتى في القتال؛ قال تعالى في سورة البقرة، الآية ١٩٠: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، والإسلام الحنيف هو دين السلام الشامل، والطمأنينة الكاملة، والروحانية الصافية، والمثل الإنسانية الرفيعة، ومن واجب كل مسلم ينتسب إليه أن يكون مظهراً لهذه الحقيقة التي صورها النبي ﷺ بقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». ولقد وقعت أحداث نسبت إلى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها، وتلا هذا الحادث المروع اغتيال رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي باشا، الذي أسفت البلاد لوفاته، وخسرت بفقده علماً من أعلام نهضتها، وقائداً من قادة حركتها، ومثلاً طيباً للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها، ولسنا أقل من غيرنا أسفاً من أجله وتقديراً لجهاده وخلقه. ولما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف، بل تنكره، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها، وتسخط على مرتكبيها، فنحن نبرأ إلى الله من الجرائم ومرتكبيها. ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة من أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار، وكان جلالة الملك المعظم حفظه الله قد تفضل فوجه

الحكومة القائمة، وفيها هذه الخلاصة من رجالات مصر، هذه الوجهة الصالحة، وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم صفوفها، وتوجيه جهودها وكفاياتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وإصلاح أمرها في الداخل والخارج. وقد أخذت الحكومة من أول لحظة على تحقيق التوجيه الكريم في إخلاص ودأب وصدق، وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد ونستنفد كل وسع في أن نعين الحكومة في مهمتها، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها، والنهوض بعبئها الثقيل، ولا يتسنى لها ذلك بحق، إلا إذا وثقت تماماً من استتباب الأمن واستقرار النظام، وهو واجب كل مواطن في الظروف العادية، فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي لا يستفيد فيها من بلبلة الخواطر وتصادم القوى، وتشعب الجهود إلا خصوم الوطن وأعداء نهضته. لهذا أناشد إخواني لله وللمصلحة العامة أن يكون كل منهم عوناً على تحقيق هذا المعنى وأن ينصرفوا إلى أعمالهم، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة، حتى يؤدوا بذلك حق الله وحق الوطن عنهم، والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويكلأه بعين رعايته، ويسدد خطا البلاد حكومة وشعباً في عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح، آمين». (انتهى بيان حسن البنا)[7].

وبعد يومين من صدور «بيان للناس» قُبض على أحد أفراد النظام الخاص واسمه شفيق أنس وهو يحاول نسف محكمة استئناف مصر، وكان التخطيط والأمر بالتنفيذ هذه المرة من سيد

(٧) نُشر النص كاملاً في: محسن محمد، من قتل حسن البنا، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨.

فايز المسؤول عن النظام الخاص وقتها ودون علم الشيخ أيضاً، فاضطر الشيخ إلى كتابة بيان ثان يتبرأ فيه من القائمين بهذا الفعل عنوانه: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين». قال فيه:

«وقع هذا الحادث الجديد، حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام، وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان من الإخوان المسلمين، فشعرت بأن من الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين، وليعلم أولئك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التي يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد أحداً منهم إلا شعوراً بواجبه وحرصاً تاماً على أدائه، فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم كل في حدود عمله، إن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد، وإني لأعلن أنني منذ اليوم سأعتبر أي حادث من هذه الحوادث يقع من أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان موجهاً إلى شخصي، ولا يسعني إزاءه إلا أن أقدم نفسي للقصاص وأطلب إلى جهات الاختصاص تجريدي من جنسيتي المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء، فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون، وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، ولله عاقبة الأمور». إلا أن هذا البيان لم تنشره الصحف إلا بعد يومين من اغتيال البنا، أي في ١٤ شباط/فبراير ١٩٤٩ وذلك ضمن حملة مخابراتية استهدفت القول بأن البنا اغتالته جماعة الإخوان بسبب بيانه هذا[٨]. وبحسب محسن محمد أيضاً، فقد أصدر البنا كتيباً صغيراً عنوانه **القول الفصل** محدود التداول، وُزع

---

(٨) منشور أيضاً في: محسن محمد، من قتل حسن البنا، م.س.ن، ص٥٧١ ـ ٥٧٢.

سراً، عرض فيه وجهة نظر الإخوان من الأحداث، فقال إن قرار الحل كان بطلب الحكومات الأجنبية، وإن السلاح الذي كان مع الإخوان كان بعلم الحكومة لأنه كان من أجل فلسطين، أما الانفجارات والاغتيالات التي حصلت فهي «لم ترتكب بأمر قيادة الإخوان، وعلى فرض أن الإخوان قاموا بها، فالجماعة ليست مسؤولة عن أعمال نفر من أعضائها»، وأبدى أسفه «لقتل المستشار أحمد الخازندار واغتيال محمود فهمي النقراشي»، وقال: إن ذلك «حصل وقيادات الجماعة كانوا معتقلين أو مراقبين، وكان رد فعل لقرارات الحكومة»[٩].

---

(٩) من قتل حسن البنا، م.س.ن، ص٤٤٨.

# الإخوان والنظام الخاص والضباط الأحرار

يمكن القول إن سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كانت سنوات الإعداد المتواصل للجيش الإسلامي أو النظام الخاص. وقد جرت قبل ذلك التاريخ اغتيالات سياسية وعمليات فدائية كثيرة لم يكن للإخوان المسلمين ذكر في أي منها رغم وجود نظامهم الخاص في السنوات الست الأخيرة، ورغم وجود الإخوان طوال السبع عشرة سنة الأخيرة من هذه الفترة (١٩٢٨ ـ ١٩٤٥). فأول جهاز سري أسسه حزب الوفد أثناء ثورة ١٩١٩ لاغتيال الجنود والضباط الإنكليز؛ كان قد اغتال السير لي ستارك، سردار الجيش المصري والحاكم العام للسودان، كما اتهمته السلطات باغتيال حسن باشا عبد الرازق وإسماعيل بك زهدي في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢، وكانا ينتميان إلى حزب الأحرار الدستوريين المنشق عن الوفد[1]. وشكّل الوفد أيضاً مطلع عام ١٩٣٦ منظمة القمصان الزرقاء شبه العسكرية، في مقابل منظمة القمصان الخضراء التابعة لحركة مصر الفتاة. وحاول عز الدين عامر من مصر الفتاة اغتيال مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة

(١) محمد حسين هيكل، مذكراتي في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، الجزء الأول، ص١٢٧ ـ ١٢٨ و١٧٤ ـ ١٧٦.

الوفدية في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٧. وهذا يعطينا فكرة عن كون التنظيمات شبه العسكرية على المثال الفاشستي كانت سمة عامة في مصر تلك الأيام. ويورد الدكتور محمود متولي[٢] حصراً لما وقع على أرض مصر من قضايا اغتيال وأعمال فدائية من سنة ١٩١٠ وحتى سنة ١٩٤٥، وقد بلغت ٦٦ قضية توزعت إلى ٤٣ قضية اعتداء على أفراد من قوات الاحتلال وأعوانه، و٢٢ قضية اعتداء على الحكام المصريين، وقضية واحدة هي قضية اغتيال إسرائيلية ضد الإنكليز. ومن بين هذه القضايا يمكن استنتاج ٥ عمليات اعتداء مصرية وطنية على ضباط وجنود الاحتلال في الفترة ما بين ١٩٤١ و١٩٤٤. ولم يشترك الإخوان في أي من هذه الأعمال بصورة مباشرة؛ علماً أنه تشكلت خلال سنوات الحرب (وخصوصاً ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢) عدة كتل إرهابية وطنية منظمة استهدفت الجنود الإنكليز ومعسكراتهم، وخصوصاً لدى مصر الفتاة والحزب الوطني والحزب الشيوعي (منظمة حدتو أي الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) وحزب الوفد، وكذلك في داخل الجيش. وشهدت أعوام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩ أوسع موجة من عمليات العنف السياسي شاركت فيها مختلف القوى السياسية والعسكرية المذكورة سابقاً، وحظيت بشرعية سياسية وطنية في أوساط تلك الحركات الوطنية[٣]. وكانت مشاركة الإخوان فيها هي الأقل برغم قيام الماركسيين لاحقاً بنسبة الإرهاب والعنف السياسي إلى

---

(٢) مصر وقضايا الاغتيالات السياسية، كتاب الحرية، القاهرة، ط ١، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥.

(٣) انظر خصوصاً: عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر، لا م. لا ت. الجزء الأول

الإخوان وحدهم[٤].

كانت السنوات الثلاث التي سبقت اغتيال حسن البنا من أصعب السنوات التي عاشتها مصر وجماعة الإخوان. فمنذ عام ١٩٤٦ صارت كل الجماعات السياسية تتنافس فيما بينها في العمل العسكري ضد الاحتلال البريطاني، فنشطت الاغتيالات السياسية وعمليات النسف والتفجير لمنشآت ووسائل نقل وأماكن سكن البريطانيين. ويقول ريتشارد ميتشل إن الإخوان استخدموا هذا النوع من العمليات كاختبارات تدريبية لأفراد الجهاز السري. وفي خريف عام ١٩٤٧ وبعد رفض مجلس الأمن مناقشة المسألة المصرية خلال مناقشته قضية فلسطين، ظهرت التشكيلات شبه العسكرية للحزب الوطني والوفد وجمعية الشبان المسلمين بصورة علنية في القاهرة[٥]. وكان الإخوان يرون أنه ينبغي منح الحكام فرصة قيادة هذا النوع من النضال الوطني لتحرير مصر من الاحتلال، لاسيما وأنه لم يكن أحد من هؤلاء الحكام قد وضع نفسه في موضع المحارب للإسلام والمسلمين. وكان حسن البنا قد أنشأ فرق الرحلات ثم طوّرها إلى فرق الجوالة، وهي نمت وتطورت خلال

---

(٤) انظر خصوصاً: رفعت السعيد، **حسن البنا.. متى.. كيف ولماذا**، كتاب الأهالي رقم ٢٨، القاهرة، ط ٩، ١٩٩٠، وكان صدر أولاً عن دار الطليعة في بيروت في آخر سبعينيات القرن العشرين. وانظر أيضاً السيد يوسف، **الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ومؤخراً كتب حلمي النمنم خصوصاً: **حسن البنا الذي لا يعرفه أحد**، مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠١٣. **سيد قطب سيرة التحولات**، الكرمة للنشر، القاهرة ٢٠١٤. وهي كتابات أقل ما يقال فيها إنها تفتقر إلى الموضوعية والعلمية ولا تحتوي على شيء سوى الحقد والكراهية والتحريض ضد الإخوان وضد الإسلاميين عموماً.

(٥) ميتشل، **الإخوان المسلمون**، ج١، م.س، ص١٦٠ ـ ١٦٢.

السنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٣٧ وصارت قوة لا يستهان بها. حتى إن الباحث ريتشارد ميتشل يقول إنها لعبت دوراً مهماً يستحق الثناء على حد قول البنا كقوة بوليس تحافظ على النظام في أثناء احتفالات اعتلاء الملك فاروق العرش عام ١٩٣٦[٦]. ويحسب ميتشل أيضاً فإن الجوالة تشكلت على نمط حركة الكشافة الوطنية المصرية، وإنها صارت بعد المؤتمر العام الثالث (آذار/مارس ١٩٣٥) تتبع القيادة المركزية، وتم تعيين قائد لها يتولى الإشراف على توحيد نشاط وحدات المناطق المختلفة، كما أن محمود لبيب الضابط المتقاعد صار منذ عام ١٩٣٩ الشخصية التي لعبت دوراً مهماً في تدريبات الجوالة وتطوير حركتها. وإن ذلك جاء بعد فشل محاولة إقامة نظام الكتائب عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨[٧]. وقد استغل الإخوان فترة الحرب لتكثيف العمل التحضيري من جمع وتخزين للسلاح والمعدات، إلى تكوين وتدريب وإعداد للجيش الإسلامي من خلال فرق الجوالة والكشافة، حتى بلغ عدد أعضاء الجوالة عام ١٩٤٨ أربعين ألف عضو[٨]. وهذه المرحلة شهدت صعود نجم النظام الخاص ورهبته وهيبته، وهو المحاط بأجواء الغموض والسرية وبهالات القوة والعظمة. وإلى هذه المرحلة بالضبط تعود بدايات العلاقة بين قيادة النظام الخاص وبين مجموعات الضباط الأحرار وعلى رأسها جمال عبد الناصر.

وكنا عرضنا شهادة كمال الدين حسين حول قيامه هو وعبد الناصر بعقد البيعة للنظام الخاص مع عبد الرحمن السندي.

---

(٦) ريتشارد ميتشل، **أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين**، ج/٢، م.س، ص٨٧.

(٧) ميتشل، م.س.ن، ص٨٤.

(٨) ميتشل، م.ن، نقلاً عن مصادر جماعة الإخوان، ص٨٨.

إلا أن حسين حمودة (وهو أحد قادة الضباط الأحرار) يورد في مذكراته[٩] هذه الواقعة (البيعة على المصحف والمسدس)، فيحدد تاريخها بأنه كان في أوائل عام ١٩٤٦. كما أنه يورد أسماء الضباط السبعة الذين شكلوا أول خلية للنظام الخاص بين ضباط الجيش المصري. ويورد عبد المنعم عبد الرؤوف (أحد قادة الضباط الأحرار أيضاً) في مذكراته[١٠] الأسماء نفسها وهي: عبد المنعم عبد الرؤوف، حسين حمودة، جمال عبد الناصر، كمال الدين حسين، سعد توفيق، صلاح الدين خليفة، خالد محيي الدين. ويؤكد خالد محيي الدين ذلك في مذكراته[١١] ويذكر أنه كان يلتقي مع عبد الناصر والصباغ ومحمود لبيب والإمام حسن البنّا، وأن البنّا قرر ضمهما هو وعبد الناصر إلى الجهاز السري، وأن العلاقة بهذا الجهاز استمرت حتى حرب فلسطين. كما يذكر عبد اللطيف بغدادي في مذكراته[١٢] أن الضباط الأحرار كانوا على صلة بالنظام الخاص، وأن عبد الرحمن السندي حاول دمج التنظيمين وأخذ موافقة حسن البنّا على ذلك، إلا أن الضباط الأحرار رفضوا هذا الأمر إذ خافوا من الذوبان داخل بحر الإخوان. ويتفق كل من كتب مذكراته من الضباط الأحرار السالفي الذكر وأيضاً جمال منصور[١٣] وعبد الفتاح أبو الفضل[١٤] ومحمد

---

(٩) **أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون**، الزهراء للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٨٥، ط٢، ١٩٨٧، ص٣١ ـ ٣٤.

(١٠) **أرغمت فاروق على التنازل عن العرش**، الزهراء للنشر والإعلام، القاهرة، ١٩٨٨.

(١١) **والآن أتكلم**، ج/١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

(١٢) عن المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٨٠.

(١٣) **في الثورة والدبلوماسية**، مركز الأهرام، القاهرة، ١٩٨٩.

(١٤) **كنت نائباً لرئيس المخابرات**، دار الحرية، القاهرة، ١٩٨٦.

نجيب[١٥] على أن الضابط المتقاعد محمود لبيب لعب الدور الرئيسي في العلاقة بين حسن البنّا والضباط الأحرار.

ولعلنا هنا نستطيع أن نميّز بين أمرين؛ العلاقة بالنظام الخاص وبعبد الرحمن السندي من جهة، والعلاقة بمحمود لبيب أو بتنظيم الضباط الأحرار من جهة أخرى. إذ إن عبد الرحمن السندي نسج علاقة خاصة بالضباط الأحرار تعززت وتعمقت رغم التباعد اللاحق ما بين التنظيمين. إلا أن هناك روايات أخرى تعيد الاتصالات الأولى للإخوان بالجيش إلى عام ١٩٤٠. فالرئيس المصري الراحل أنور السادات يروي في كتاب قديم له[١٦]، أنه كان يقود مجموعة ثورية داخل الجيش تسعى إلى الحصول على دعم علي ماهر وعزيز المصري المعاديين بشدة للإنكليز، وأن تنحية علي ماهر من الحكومة صيف ١٩٤٠ جعلت مجموعة السادات تركز على عزيز المصري، وهو ضابط متقاعد اشتهر بوطنيته وعدائه للاستعمار، وهو كان في لندن بعد تقاعده للعلاج، وحين عاد إلى القاهرة عام ١٩٣٧ استقبله عدد من قادة الإخوان ونشأت صلة قوية بينه وبين حسن البنّا، إلى حد أنه كان يسعى إلى توحيد الإخوان ومصر الفتاة. أما الضابط محمود لبيب فهو تقاعد عام ١٩٣٦ وبدأ العمل مع حسن البنّا كمستشار خاص له لفرق الجوالة وللشؤون العسكرية، وللإشراف على تجنيد وتدريب المتطوعين لفلسطين[١٧].

---

(١٥) كنت رئيساً لمصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٨٤.

(١٦) صفحات مجهولة من كتاب الثورة، صدر عن سلسلة كتب للجميع، العدد ٨٤، مطلع عام ١٩٥٤. قدّم له جمال عبد الناصر، وقد أعادت دار الجمهورية للصحافة والنشر طباعته في ١/١/٢٠٠٦.

(١٧) بحسب ما كتبت مجلة الدعوة، «عن محمود لبيب» ٢٥/١٢/١٩٥١، أي بعد أسبوع من وفاته.

يقول السادات إنه كان مع صديقه الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف على صلة قوية بالإمام البنّا، وإنهما اتصلا بعزيز المصري بواسطة البنّا نفسه والتقيا به في عيادة الدكتور إبراهيم حسن أحد قادة الإخوان وذلك عام ١٩٤٠[١٨]. وقد أعاد السادات ذكر الرواية أيضاً في كتابه **البحث عن الذات**، وذكر أن زياراته للبنّا تكررت وأن الأخير عرض عليه الانضمام للإخوان[١٩]. وفي حين يقول السادات إن البنا هو الذي بادر بدعوته لزيارة مركز الجماعة، يقول أحد الإخوانيين إن وجيه أباظة هو الذي رتب اللقاء بين البنا والسادات في عيادة الدكتور إبراهيم حسن، وذلك لتعريفهما أيضاً بالضابط عزيز المصري، وإنه تم الاتفاق في هذا الاجتماع على توحيد العمل بين الإخوان وجماعة مصر الفتاة وضباط الجيش[٢٠]. في حين يذكر حسين حمودة أنه تم الاتفاق بين الفريق عزيز المصري وأنور السادات على تشكيل تنظيم سري في الجيش يرتبط بالإخوان[٢١]. ويعيد السادات إلى هذه المرحلة انضمام عبد المنعم عبد الرؤوف تنظيمياً إلى حركة الإخوان. وكان عبد المنعم عبد الرؤوف قاد محاولة هرب فاشلة مع عزيز المصري ليلة ١٥ ـ ١٦ أيار/مايو ١٩٤١ للاتصال بثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق والعمل ضد الإنكليز. وقد اعتقل ثم أطلق سراحه ربيع ١٩٤٢ ليجري اعتقال السادات مع زميله حسن عزت (آب/أغسطس ١٩٤٢) بتهمة الاتصال المستمر بالألمان. وخلال فترة اعتقال السادات حل

---

(١٨) م.س، ص٣٣ ـ ٤٨، وأيضاً ٥٣ ـ ٥٦ من كتاب صفحات مجهولة.

(١٩) طبعة المكتب المصري الحديث، ١٩٩٨، القاهرة، ص٣١.

(٢٠) زكريا سليمان بيومي، **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المعاصرة ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢١) حمودة، م.س، ص١٨٥.

عبد الرؤوف محله كضابط اتصال بين مجموعة الجيش والإخوان، لاسيما وأن السادات كان يعمل على تشكيل جبهة من الإخوان والجيش والبوليس بقيادة عزيز المصري بحسب روايته[٢٢]..

ويقول أنور السادات في كتابه الآخر **أسرار الثورة المصرية: بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية**[٢٣]، إنه التقى الإمام البنّا أوائل نيسان/أبريل ١٩٤١، وإنه استمر على صلة به حتى القبض عليه (السادات) في صيف ١٩٤٢، وإن عبد المنعم عبد الرؤوف حل محله في هذه الصلة بعد إطلاق سراحه. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٤ هرب السادات من المعتقل وأعاد الاتصال بالإخوان ليساعدوه قبل أن يُعاد اعتقاله في كانون الثاني/يناير ١٩٤٦ ويبقى في السجن حتى نهاية عام ١٩٤٨.

غير أن عمر التلمساني ينفي بشدة كل ما قيل وكتب عن دور عزيز المصري في هذا السياق، انطلاقاً من كون الفريق المصري كان عسكرياً لا تستهويه الفكرة الإسلامية ولا يصلح لدعوة إسلامية. ولكن الذي جمع بينه وبين البنا التقاء مصالح ليس إلا، ولم يكن هو الواسطة بين الإخوان والضباط. كما يكذّب التلمساني قول السادات إنه أنشأ الإخوان مع البنّا، ويؤكد أن كل ما أورده السادات عن علاقة الإخوان بالضباط الأحرار ليس فيه كلمة واحدة صحيحة، بل الصحيح أن السادات كان يلتقي البنّا باعتباره تلميذاً

---

(٢٢) حمودة، م.ن، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢٣) كتاب الهلال الشهري، العدد ٧٦، تموز/يوليو ١٩٥٧، قدّم له جمال عبد الناصر. وقد أعيد نشره في سلسلة كتب قومية (العدد ٣١١) عن الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٦/٧/١٩٦٥.

يلتقي أستاذه[٢٤]. أما الرئيس المصري الأول بعد الثورة محمد نجيب فقد ذكر في كتابه «قدر مصر»[٢٥] حقيقة اتصالات السادات بالبنّا وعزيز المصري، وحقيقة انتماء عبد المنعم عبد الرؤوف منذ مرحلة مبكرة (١٩٤١) للإخوان، فقال إن محمود لبيب أجرى أول اتصال بالضباط الأحرار صيف ١٩٤٤ حين التقى عبد الناصر في حديقة الحيوانات بالجيزة. ويؤكد القصة حلمي سلام في مقالاته بمجلة المصور والتي صدرت ابتداء من ٢١/١٠/١٩٥٢ في ١١ حلقة متسلسلة أسبوعياً. ويؤكد محمد نجيب[٢٦] وحلمي سلام[٢٧] أن الرجل الثاني في اللقاء مع الإخوان بعد عبد الناصر كان رشاد مهنا، ويأتي بعدهما كمال الدين حسين وحسين الشافعي، في حين أن عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة وأبو المكارم عبد الحي، كانوا من ضباط الإخوان داخل الجيش. غير أن حسين حمودة يؤكد أن عبد المنعم عبد الرؤوف هو من أدخل عبد الناصر إلى الجمعية السرية للضباط عام ١٩٤٤، وأنه ظل (أي عبد الرؤوف) هو المسؤول عن التنظيم السري في الجيش حتى نكبة فلسطين (١٥ أيار/مايو ١٩٤٨) ومتعاوناً مع «القادة الروحيين للتنظيم وهم البنّا ولبيب والمصري»[٢٨].

ويبدو أن العلاقة بين الضباط الأحرار والإخوان مرت

---

(٢٤) انظر: إبراهيم قاعود، عمر التلمساني شاهداً على العصر، الإخوان المسلمون في دائرة الحقيقة الغائبة، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص٩١ ـ ٩٢.

(٢٥) بالإنكليزية، ١٩٥٥.

(٢٦) قدر مصر، م.س، ص٣٢.

(٢٧) المصور، م.س.

(٢٨) حمودة، م.س، ص١٨٦.

بمحطات تاريخية من المفيد استعراضها؛ فهناك من جهة أولى معلومات تؤكد ولادة الضباط الأحرار في ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠، وهو تاريخ تأسيس النظام الخاص نفسه في الإخوان. إذ يُحدّد السادات ليلة ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٣٩ تاريخاً لإنشاء تنظيم الضباط بجبل الشريف بالقرب من منقباد بصعيد مصر، حيث كانوا يحتفلون بعيد ميلاد عبد الناصر في لقاء ضم إلى ناصر والسادات وزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين. وأن هذه النواة توسعت لاحقاً بانضمام عبد الحكيم عامر حين التقاه ناصر في الخرطوم[٢٩]. وهناك من جهة ثانية وفي الفترة نفسها (١٩٣٩) تكليف الإمام البنّا الضابط محمود لبيب تأسيس تنظيم سماه الجنود الأحرار (وكان يوقع بياناته أحياناً باسم الضباط الأحرار)، وقد صدر عن هذا التنظيم في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤١ عريضة إلى الملك حملت مطالب أحرار الجيش، وخصوصاً منع ما يتعارض مع الإسلام، ومنح الجندي الحق في الامتناع عن القيام بأي عمل يناقض الشرع، وإلغاء معاهدة ١٩٣٦[٣٠]. وكان عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة أول من قاد هذا التنظيم، ثم ضمّا إليه جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، وسعد حسن توفيق، وخالد محيي الدين، وصلاح الدين خليفة. وهذه الأسماء شكلت الخلية الأولى الأساسية قبل أن تضم لاحقاً البغدادي، وعامر، والسادات، وثروت عكاشة، وإبراهيم الطحاوي، وصلاح سالم، وحسين

---

(٢٩) في كل كتبه أعاد السادات تأكيد روايته هذه، انظر خصوصاً: أسرار الثورة المصرية، م.س، ص٣٠ ـ ٣٣.

(٣٠) انظر صلاح شادي صفحات من التاريخ: حصاد العمر، شركة الشعاع للنشر، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١، ص١٦١.

الشافعي، وحسن إبراهيم، وتوفيق عبده إسماعيل[٣١].

ويؤكد السادات[٣٢] وعبد الناصر[٣٣] أن الضباط انضموا إلى تنظيم محمود لبيب، وأنهم في مرحلة تالية عرضوا على البنّا خطة لإبادة الجيش البريطاني عند عودته من العلمين. ويقول أسامة حميد إن محمود لبيب عرض على عبد الناصر تسليمه قيادة التنظيم عندما اعتلت صحته (أي في أواخر عام ١٩٤٤). وقال عبد الناصر مرة إنه هو مؤسس التنظيم وليس محمود لبيب، كما قال السادات إنه هو المؤسس وإنه سلم المهمة لعبد الناصر بعد اعتقاله. إلا أن بعض الإخوان يقولون إن عبد الناصر انضم إلى النظام الخاص عام ١٩٤٣ عن طريق عبد المنعم عبد الرؤوف عندما كان أركان حرب الكتيبة ١٣ مشاة، وإن اسم عبد الناصر الحركي كان زغلول عبد القادر[٣٤]. إلا أنني سمعت من بعض قدامى الإخوان من يربط بدايات علاقة عبد الناصر بالإخوان بعضو الجماعة الشيخ الأزهري أحمد حسن الباقوري (كان يكبره بالسن بسبع أو ثماني سنوات)[٣٥]. وهذا يعني أن الاتصالات الأولى بين عامي ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ والتي جرت بواسطة السادات وعبد المنعم عبد الرؤوف تختلف عن طبيعة الاتصال الذي جرى عام ١٩٤٤ مع محمود لبيب. المهم في كل الأحوال أن هؤلاء الضباط كانوا يتحلقون ويتجمعون في أطر لم تكن بعيدة عن نشاط

---

(٣١) المعلومات نقلها أسامة حميد في بحثه المطبوع بدون ناشر: «موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية»، القاهرة ١٩٨٦.

(٣٢) في أسرار الثورة، ص٩١ ـ ٩٢.

(٣٣) مقالة في مجلة المصور ٣١/ ١٠/ ١٩٥٢.

(٣٤) انظر: محسن محمد، من قتل حسن البنا، ص٣٤٧.

(٣٥) حوارات للمؤلف في القاهرة، شباط/ فبراير ١٩٩٩.

وتنظيم الإخوان خصوصاً قيادة النظام الخاص، وتنظيم محمود لبيب.

إلا أن اللحظة الثالثة التاريخية هي بلا شك لحظة حرب فلسطين وما تلاها، إذ يمكن القول بأن تنظيم الضباط الأحرار قد اتخذ شكله النهائي بقيادة عبد الناصر بدءاً من عام ١٩٤٩، وبعد اغتيال حسن البنّا ووقوع الإخوان تحت سيف الملاحقة والاضطهاد وحصول فراغ كبير في قيادتهم بسبب عدم التمكن من انتخاب مرشد يحل محل البنّا حتى آخر عام ١٩٥١.

ويبدو أن المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية قد شهدت تطوراً في وضع هؤلاء الضباط باتجاه الابتعاد عن الإخوان المسلمين، وذلك يعود إلى طبيعة الأوضاع السياسية الناشئة بعد عام ١٩٤٥ أي بعد انتصار بريطانيا وهزيمة ألمانيا، وطبيعة الصلة الناشئة بين كل من الدولة المحتلة من جهة، والقصر من جهة ثانية، والأحزاب السياسية المصرية وفي طليعتها الوفد واليسار من جهة ثالثة.

وفي كتاب السادات **أسرار الثورة المصرية** نقرأ ملاحظة جد مهمة تتعلق بهذا الأمر، إذ يقول إنه وقعت في شباط/فبراير ١٩٤٦ حوادث الجامعة المشهورة، فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية وحقدهم على السلطة. وفي خلال الأيام التي تلت هذه الحركة وقعت المهادنة بين صدقي وجماعة الإخوان المسلمين، فأيدت هذه المهادنة دعوة الضباط الأحرار إلى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش، إذ وضح في أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا كأفراد على صلة بالإخوان المسلمين وبين جماعة الإخوان كجماعة لها سياستها، التي أوحت لها في ظرف من

الظروف أن تُهادن حكومة صدقي ضد حركة الشعب[٣٦]. وقال السادات أيضاً إن مهادنة الإخوان لحكومة إسماعيل صدقي لم تُرضِ الضباط الذين اعتبروها انحرافاً عن الوطنية المثالية[٣٧].

جاءت بعد ذلك حرب فلسطين، إذ يتفق الجميع أنها أدت إلى تفكك الهيكل التنظيمي للضباط الأحرار. ويؤكد عبد الناصر هذا الأمر[٣٨]، ويقول إن الحرب فرقتهم في وحدات متباعدة، كما أدت إلى استشهاد العدد الكبير منهم، وإلى تخلف البعض على الطريق، وإلى اتصال البعض الآخر بالملك. ويعطي أحمد حمروش الانطباع نفسه[٣٩].

ويبدو أن منتصف عام ١٩٤٩ كان موعداً لإعادة تأسيس تنظيم الضباط الأحرار، إذ جرى التحقيق يوم ٢٥ أيار/مايو ١٩٤٩ مع عبد الناصر، الذي قال إنه خرج من التحقيق إلى منزل عبد الحكيم عامر «حيث بدأنا وضع خطتنا في ذلك اليوم وفي نهاية الشهر كان شملنا قد اجتمع»[٤٠].

وبحسب السادات وحمروش وغيرهما، فإن اللجنة التأسيسية الأولى لهذا التنظيم ضمت إلى ناصر وعامر، كمال الدين حسين، وعبد المنعم عبد الرؤوف، وخالد محيي الدين، وحسن إبراهيم، ثم بعد عدة شهور أضيف صلاح سالم، وجمال سالم،

---

(٣٦) أسرار، م.س، ص٧٢.

(٣٧) في كتابه صفحات مجهولة، م.س، ص١٧١.

(٣٨) مذكراته في المصور بتاريخ ٣١/ ١٠ و٧/ ١١/ ١٩٥٢.

(٣٩) قصة ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤، ص١٤٦.

(٤٠) المذكرات في مجلة المصوّر، م.س.

وعبد اللطيف بغدادي، وأنور السادات، وزكريا محيي الدين. ثم بعد ذلك ثروت عكاشة، وعلي صبري، ويوسف صديق، وحسين الشافعي.

يقول صلاح نصر في مذكراته[٤١]، إن التنظيم تشكل نتيجة لحصاد حرب فلسطين، وإن ناصر أسس أواخر عام ١٩٤٩ نواة تتكون من ستة ضباط هي الهيئة التأسيسية (يورد الأسماء نفسها)؛ وإنه جرى بعد ذلك إبعاد عبد المنعم عبد الرؤوف عن الهيئة لأنه حاول احتواء التنظيم داخل الإخوان، إلا أنه ظل يعمل في خلايا التنظيم، وإنه أضيف عام ١٩٥١ إلى القيادة صلاح سالم والبغدادي والسادات (بعد عودته إلى الجيش) وجمال سالم (بعد عودته من الخارج).

وفي آب/أغسطس ١٩٥٢ أضيف محمد نجيب ويوسف صديق وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين وعبد المنعم أمين. أما رشاد مهنا فهو كان يقود مجموعة باسم الضباط الوطنيين قبض عليهم وحوكموا ثم أفرج عنهم وأعيدوا إلى الجيش[٤٢]. وبذلك جرت إعادة التأسيس باستقلال عن الإخوان، ولكن ليس من دون صلة وثيقة معهم. إلا أن ضباط الإخوان يقدمون صورة أخرى عن هذا التطور، إذ يرون أن عبد الناصر انفصل واستقل بالتنظيم بعد عام ١٩٥٠. فيقول عبد المنعم عبد الرؤوف مثلاً إن جمال عبد الناصر كان مع جماعة الإخوان في أول أسرة إخوانية للضباط، وكانت هذه الأسرة تضم سبعة ضباط هم: عبد المنعم عبد الرؤوف،

---

(٤١) ثورة يوليو بين المسير والمصير، الجزء الأول: الأصول، مؤسسة الاتحاد، دُبي ١٩٨٦.

(٤٢) صلاح نصر، م.س، ص١١.

وجمال عبد الناصر، كمال الدين حسين، وحسين أحمد حمودة، وسعد توفيق، وصلاح خليفة، وخالد محيي الدين. وإن هذه الأسرة تشكلت سنة ١٩٤٤ وانضمت لها بعد ذلك عدة أسر، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم تنظيم «الإخوان الضباط»، وكان يرأس التنظيم الصاغ محمود لبيب، وكان عبد الناصر من الناشطين فيه[٤٣]. ويقول أيضاً إن قيادة (الإخوان الضباط) عقدت برئاسة محمود لبيب وحضور الضابطين عبد الرؤوف وعبد الناصر اجتماعات عديدة، انتهوا فيها إلى وجوب الثأر لمقتل الشهيد حسن البنا، والحذر من أفراد الحرس الحديدي التابع للقصر حتى لا ينكشف تنظيمهم، والتخلص من النظام الملكي، والقيام بانقلاب لإيجاد نظام إسلامي، وتدريب المدنيين من الإخوان المسلمين، وبدء القتال ضد قوات الإنكليز[٤٤] ويقول إنه حين جرى التحقيق مع عبد الناصر، أرسل محمود لبيب إلى زوجة عبد الناصر مرتّب شهر، وأبلغها اهتمام الإخوان الضباط بموضوع التحقيق، وأنهم لن يتخلوا عن عبد الناصر. وبمناسبة هذا الحادث (التحقيق مع عبد الناصر) اقترح محمود لبيب المسؤول عن التنظيم، تغيير اسمه من تنظيم «الإخوان الضباط» إلى تنظيم «الضباط الأحرار» وذلك لإبعاد الشبهة عن جماعة الإخوان المسلمين، المكروهة من الملك والأحزاب والإنكليز[٤٥].

---

(٤٣) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف، م.س، ص٤٣.

(٤٤) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف، م.س، ص٦٣ ـ ٦٤.

(٤٥) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف، ص٦٤.

# صراع الإخوة الأعداء

لعل بداية التردي في علاقة الضباط بالإخوان تعود إلى المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية وما تولد عنها من أوضاع سياسية جديدة. ولعل الجانب الأبرز يعود إلى اضطراب وضع الإخوان في آخر عام ١٩٤٦ ومطلع عام ١٩٤٧، بسبب الأزمة الداخلية العنيفة التي أصابتهم والتي لعب فيها جماعة النظام الخاص دوراً سلبياً. فقد أدى تزويج البنّا شقيقته الكبرى من عبد الحكيم عابدين إلى فتنة، إذ إن بعض قدامى المؤسسين خافوا من منافسة عبد الحكيم لهم في مناصبهم البارزة في الدعوة لما له من مواهب تؤهله للبروز في المجتمع بعد أن أصبح صهراً للمرشد العام. وقد أدى ذلك إلى حصول استقالات وإلى اعتكاف مجموعات بدأت تجتمع خارج الإطار التنظيمي، إلى أن صدرت قرارات طرد حسين عبد الرازق (شقيق علي عبد الرازق صاحب كتاب **الإسلام وأصول الحكم**)، وإبراهيم حسن (الذي جمع السادات والبنا في عيادته)، وأحمد السكري (أول القادة التاريخيين للإخوان بعد البنا)، وكمال عبد النبي، وغيرهم، وذلك في ١/٣/١٩٤٧. ويحسب محمد نجيب وأنور السادات وحلمي سلام[1] فإن

---

(١) مراجع وردت سابقاً.

هذه الأزمة كانت بداية الاستياء لدى الضباط الذين فقدوا الثقة في النموذج المثالي للإخوان.

ولا يمكن الفصل بين هذه الأزمة الداخلية وحقيقة ارتباطها بالموقف الإخواني المهادن لحكومة صدقي والمعارض للوفد، إذ يبدو أن المنتفضين المطرودين كانوا من الوفديين الصرحاء داخل الإخوان.

إلا أن ما جرى لم يقطع الصلة بسبب حاجة الضباط للإخوان كسند شعبي في حركتهم الثورية. ففي شباط/فبراير ١٩٤٦ قال عبد الناصر في اجتماع للجنة الضباط الأحرار إنه يتوقع خيراً كثيراً من الإخوان[٢]. وقد صرح الملك فاروق أن ضباط الجيش قالوا له إن نحو ٣٣ في المئة منهم يشاركون في أنشطة الإخوان[٣].

ويمكن القول بأن مشاركة الإخوان البارزة في ثورة اليمن (١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨) وصلتهم الوثيقة بسيف الإسلام الأمير إبراهيم بن يحيى، والسيد عبد الله بن أحمد الوزير، والقاضي حسين الكبسي (قادة الثورة الدستورية اليمنية يومذاك)، شكلت بداية توجس الضباط الأحرار والسلطات المصرية من قوة الإخوان وأهدافهم.

غير أن الإخوان يقولون هنا بنظرية المؤامرة. إذ ينسبون إلى عبد الناصر تخطيطاً جهنمياً للاستئثار بالتنظيم وبالثورة، فيقولون إنه في أيلول/سبتمبر ١٩٤٩ ظهر خلاف كبير بين الضابطين البارزين

---

(٢) حلمي سلام في المصور ٧/ ١١/ ١٩٥٢ والسادات في أسرار الثورة، ص١٥٦.

(٣) بحسب مجلة الدعوة ٢٩/ ١٢/ ١٩٥٠، وقد أعادت نشر الخبر جريدة الجمهورية الحكومية في ١٧/ ١١/ ١٩٥٤.

في تنظيم الضباط الأحرار؛ عبد الرؤوف وعبد الناصر؛ فعبد الناصر يريد الإسراع في عمل الانقلاب، ويريد فتح التنظيم (الضباط الأحرار) أمام ضباط الجيش عموماً، ولو لم يكونوا ملتزمين مع الإخوان المسلمين، ولا مع الخُلق الإسلامي الكريم! فيما عبد الرؤوف ملتزم بالبيعة مع الإخوان، وبالطاعة لتعليمات مكتب الإرشاد للجماعة، ويطالب بقصر عضوية التنظيم على الضباط الإخوان، وعدم انضمام أي ضابط آخر له. وقد اتفقا على أن يحتكما إلى رأي الفريق «عزيز المصري»، الذي طالبهما بالاتفاق معاً لطرد الإنكليز، وإلغاء النظام الملكي، فإذا لم يتفقا معاً، فليسيرا معاً متوازيين كقضيبي السكة الحديد (مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف، م.س، ص٦٥). وأخبر عبد الناصر عبدَ الرؤوف أن هدفه هو «إلغاء النظام الملكي»، وأنه قد ضم إلى التنظيم بعض الضباط من غير علم قيادة التنظيم الإخوانية، مثل صلاح سالم وعبد الحكيم عامر. وأخبر عبد الرؤوف قائده محمود لبيب بالخلاف الذي بينه وبين عبد الناصر، وبآراء عبد الناصر الجديدة.
«وبعد بضعة شهور مرض محمود لبيب، وأصيب بالفالج وعجز عن الكلام وصار طريح الفراش، وتوفي بعد ذلك، وكانت عنده أسرار أموال واشتراكات وحلقات التنظيم الإخواني»[٤] وهنا يروي الضابط حسين حمودة ما فعله عبد الناصر بعد سفر عبد الرؤوف، فيقول: «زرت محمود لبيب قبيل وفاته، فوجدت عنده عبد الناصر، فقال لي ولعبد الناصر: إنني سأموت، وسأكتب مذكرةً بأسماء الضباط الإخوان، وقائمةً باشتراكاتهم التي عندي، وسأسلم ذلك لعبد الناصر ليستمر التنظيم الإخواني للضباط، ودعا إلى التعاون بين عبد الناصر

(٤) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف، ص٦٥ ـ ٦٦.

وعبد الرؤوف. وخرج حسين حمودة من بيت محمود لبيب، و ترك عنده عبدَ الناصر، ولمّا توفي لبيب، اشترك في جنازته عبد الناصر وحمودة، وقد اعترف عبد الناصر لحمودة، بأنه أخذ من لبيب قبل وفاته أسرار وأسماء وأموال التنظيم الإخواني للضباط، الذي عُرف باسم «الضباط الأحرار». وبعد حين، قال عبد الناصر لحمودة: إنه سينضم إلى التنظيم ضباط آخرون من غير الإخوان! وأعلن لحمودة انفصاله بالتنظيم عن الإخوان المسلمين، وقال إنه بعد حسن البنا ومحمود لبيب انقطعت صلةُ الإخوان الضباط بضباط الجيش، وإنه يرى (لدواعي الأمن) قطع الصلة بعبد الرحمن السندي (رئيس الجهاز السري المدني للإخوان المسلمين)[٥]. إذن بحسب الإخوان فقد استقل عبد الناصر بتنظيم «الضباط الأحرار» بعد عام ١٩٥٠، وانفصل عن قيادة الإخوان المسلمين، وضمّ إليه من غير الإخوان عدداً من الضباط مثل: عبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين، وصلاح سالم، وجمال سالم، وغيرهم. وأمام هذا الأمر، رأت قيادةُ جماعة الإخوان المسلمين الاستمرار في ربط الضباط الملتزمين مع الجماعة، عن طريق الأُسر والاشتراكات وغيرها، وجعلت لهم قيادةً خاصة مرتبطة بقيادة الجماعة. وبما أن عبد الناصر انفصل عن قيادة الجماعة، وبما أن عبد الرؤوف كان في سيناء، وتتعذر عليه ممارسة مهام وصلاحيات القيادة، فقد أسند مكتب الإرشاد قيادةَ الضباط الإخوان في الجيش للمقدم أركان حرب أبو المكارم عبد الحي[٦]. من هذا التلخيص الموجز، نعرف

---

(٥) مذكرات حمودة، م.س، ص٧٥, و١٤٩ ـ ١٥١.

(٦) مذكرات حسين حمودة، م.س، وانظر أيضاً: كتاب الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٢٨٧ ـ ٢٩٩.

أن تنظيم «الضباط الأحرار» (الذي قام بثورة عام ١٩٥٢ في مصر)، كان بحسب الإخوان تنظيماً إخوانياً أساسياً، وأنه ظل إخوانياً صِرفاً نحو خمس سنوات منذ تأسيسه عام ١٩٤٦، وحتى استقلال عبد الناصر به عام ١٩٥٠. ومع ذلك بقي وجود الضباط الإخوان في تنظيم «الضباط الأحرار»، حاضراً ومؤثراً ومتميزاً وقوياً، وبقي فيه ضباطٌ إخوان نشطاء مثل: كمال الدين حسين، وحسين حمودة، وصلاح خليفة، وغيرهم، إضافة إلى التنظيم الإخواني الجديد للضباط، المستقل عن الضباط الأحرار، والذي كان يرأسه الضابط الإخواني أبو المكارم عبد الحي.

غير أن جمال عبد الناصر ومن معه من الضباط الاحرار رأوا أن حرب فلسطين ودور الإخوان البارز فيها ودعمهم للضباط الأحرار وتنسيقهم التام معهم ومشاركتهم السراء والضراء، ينبغي أن تعيد العلاقات إلى حيويتها، إلى حد أن عبد الناصر عندما اعتقل وحقق معه إبراهيم عبد الهادي في أيار/مايو ١٩٤٩ دافع عن الإخوان وعن صلته بهم واعتز بذلك على اعتبار دورهم الوطني في فلسطين[٧].

وهذا ما يؤكده حسين حمودة في مذكراته، إذ يقول إنه اشترك مع عبد الناصر في تدريب الإخوان على السلاح في أعوام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨. كما يقول حمودة بأن عدد الضباط الأحرار عام ١٩٥٠ كان ٩٩ معظمهم من الإخوان باستثناء خمسة من الشيوعيين. ويؤكد حسين حمودة أن جمال عبد الناصر قال له شخصياً في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٥٢ إنه متصل بالمرشد العام (الهضيبي) وإنه أخذ موافقته على القيام بالثورة، وإن الإخوان يقومون بحراسة مرافق البلاد

(٧) حلمي سلام ١٩٥٢/١٢/٥ والسادات، أسرار، ص١٨٨ ـ ١٨٩.

الحيوية والسفارات، وإنّ لهم عناصر مسلحة تحرس طريق القاهرة ـ السويس وطريق القاهرة ـ الإسماعيلية إضافة إلى منطقة قناة السويس[8].

ويبدو أنه حين انقطع الاتصال بين عبد الناصر وقيادة الإخوان (والذي كان يتم عن طريق عبد الرؤوف وحسين حمودة وغيرهم من الضباط الإخوان الملتزمين بالجماعة)، أوجد عبد الناصر قناة اتصال أخرى عن طريق جديد: طريق الضابط الإخواني صلاح شادي. يقول صلاح شادي[9]، إن لقاءات الإخوان بعبد الناصر نشطت بعد حريق القاهرة (٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٥١) فتكثفت الاجتماعات في منزل عبد القادر حلمي لدراسة سبل التعجيل بالثورة. وينقل صلاح شادي عن عبد القادر حلمي تفاصيل المناقشات التي جرت والتي تناولت أهداف الانقلاب والأمور المترتبة عليه لجهة من سيتولى الحكم والموقف من الأحزاب ومصير الملك. كما نوقشت قدرة الضباط على القيام بالانقلاب من الناحية العسكرية ودور الإخوان في هذا الانقلاب. إضافة إلى ردود الفعل المحتملة داخلياً وخارجياً. وفي التفاصيل أيضاً أن عبد الناصر طلب عقد لقاء مهم وعاجل مع الإخوان يوم ١٨ تموز/يوليو، فتم ذلك ليلاً وفي منزل عبد القادر حلمي، وكان مع عبد الناصر عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين إلى جانب حسن العشماوي وصالح أبو رقيق وصلاح شادي. وقد سافر بعد هذا اللقاء كل من عبد القادر حلمي وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وحسن العشماوي للقاء المرشد العام (حسن الهضيبي)؛ لإطلاعه على

(٨) أسرار حركة الضباط، ص٢١ ـ ٤٢.

(٩) صفحات من التاريخ، ص١٦٩.

التطورات (انكشاف تنظيم الضباط الأحرار للبوليس السياسي ومطلب عبد الناصر ورفاقه التعجيل بإنجاز انقلاب سريع). وقد أعطى المرشد موافقته المشروطة على الانقلاب (شرط العمل على تطبيق أحكام الشريعة والمشاركة الكاملة بين الإخوان والضباط في المسؤولية). ثم التقى الإخوان بعبد الناصر يوم ٢١ تموز/يوليو وقد صدّق عبد الناصر على جميع شروط المرشد واتفقوا على القيام بالانقلاب خلال يومين على الأكثر[١٠].

رواية الإخوان تختلف إذن من حيث «النيّات» وليس الحقائق. فبحسب صلاح شادي[١١] فقد جاءه في نهاية عام ١٩٥٠ (وبعد وفاة محمود لبيب) الضابط الإخواني عبد الفتاح غنيم، وأبلغه رغبة عبد الناصر الاتصال بالإخوان المسلمين من جديد. وأخبر صلاح شادي الشهيد عبد القادر عودة بذلك، فكلّف عودةُ شادي بالاتصال به، وتم الاتصال الأول بين شادي وعبد الناصر في مكتب المحامي حسن العشماوي، ثم استمرت الصلة بين عبد الناصر والقيادة الإخوانية عن طريق صلاح شادي بعد ذلك، وبحسب الإخوان فقد استمر الاتصال والتنسيق بين اللجنة الإخوانية الجديدة، وعبد الناصر ومن معه من الضباط الأحرار (من غير الإخوان المسلمين) وزادت

---

(١٠) صلاح شادي، ص١٦٨ ـ ١٧٧؛ وأيضاً: أحمد عطية الله، **ليلة ٢٣ تموز/يوليو، مقدماتها، أسرارها، أبعادها**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٢، ص١٦٤ ـ ١٦٦. وأحمد عطية الله مؤرخ معروف كانت تربطه علاقة صداقة قوية بالرئيس عبد الناصر. وأيضاً مذكرات كمال الدين حسين في كتاب سامي جوهر، **الصامتون يتكلمون**، م.س، ص٣٤؛ وكتاب أحمد حمروش، **شهود ثورة ٢٣ يوليو**، ج/٤، المؤسسة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ١٩٧٧، ص٣٣٧؛ ومذكرات عبد اللطيف بغدادي، م.س، ص٤٩ ـ ٥١؛ ومقالة حلمي سلام في مجلة **المصور** ١٤/١١/١٩٥٢، وكتاب ريتشارد ميتشل **عن الإخوان المسلمين**، ج/١، م.س.

(١١) **صفحات من التاريخ**، ص١٧٠ ـ ١٨٢.

الاتصالات بين الفريقين في الأيام الأخيرة قبل الثورة، وكانت اللجنة تبلّغ المرشد العام، حسن الهضيبي، بكل ما يجري بينهم وبين عبد الناصر. وبحسب مصادر مختلفة، يروي عبد القادر حلمي أن اللجنة الإخوانية المتصلة بعبد الناصر عرضت على حسن الهضيبي آخر ما توصلت له مع عبد الناصر، وذلك قبيل قيام الثورة، وأن المرشد أبدى لأعضاء اللجنة مخاوفه من عبد الناصر، ووجّه لهؤلاء الإخوان عدة استفسارات «أهمها مدى تمسك هؤلاء الضباط بالإسلام، ومدى إخلاصهم في قولهم بالعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهل تمّ الاتفاق في وضوح صراحةٍ على هذا الأمر؟ وهل اتفق على المشاركة الكاملة بين الإخوان والضباط الأحرار في الانقلاب والمسؤولية إزاءه، والتعاون في تنفيذه وبعدَ نجاحه؟ وفي النهاية، أعطاهم المرشد موافقته المشروطة بالأمرين السابقين». وأخذ هؤلاء الإخوان موافقة المرشد السابقة والتقوا بعبد الناصر في بيت عبد القادر حلمي. ويروي حلمي بعض ما دار في ذلك اللقاء بقوله: «اجتمعنا بجمال عبد الناصر، وشرحت له وجهة نظر المرشد بالتفصيل، وقد صدَّق عبدُ الناصر على جميع تحفظات المرشد وأكد قبولها، وأنه سبق الاتفاق معنا عليها». وفي الزمان نفسه ٢٢ تموز/يوليو ١٩٥٢، والمكان نفسه في بيت عبد القادر حلمي، انفرد صلاح شادي بعبد الناصر فترةً قصيرة، «وتذكّرا في هذا اللقاء عهدهما السابق على المبادئ والأهداف التي بايعا الله عليها، قبل الإقدام على هذه الخطوة المصيرية، وأشهدا الله على هذا العهد بقراءة الفاتحة». وقامت الثورة في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢ بتنسيق كبير بين عبد الناصر والإخوان المسلمين. وفي ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٢ عُقد أول لقاء بين عبد الناصر والمرشد العام حسن الهضيبي، في منزل صالح أبو رقيق (أحد أعضاء اللجنة الخماسية

الإخوانية التي اتفقت مع عبد الناصر)، وبحضور الإخوان الخمسة كلهم. يروي صالح أبو رقيق أن عبد الناصر رفض في ذلك اللقاء أيَّ تنسيق أو تعاون أو تشاور، وقال إنه يرفض وصاية من أي جهة على الثورة. فاستغرب الهضيبي من كلام عبد الناصر، ووجه كلامه لحسن العشماوي: ألم تتفقوا على المشاركة يا حسن؟ فأجاب العشماوي: بلى اتفقنا! ولكن عبد الناصر قال للهضيبي: «إحنا لم نتفق على شيء». وفوجئ الإخوان الخمسة بتنصل عبد الناصر من اتفاقه معهم، كما فوجئ المرشد العام بذلك. واستمرت الجلسة في مناقشات حامية، أنهاها المرشد بقوله لعبد الناصر: «اسمع يا جمال. ما حصلش اتفاق، وسنعتبركم حركة إصلاحية. إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد. وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضي الله». ولما خرج عبد الناصر قال الهضيبي للإخوان الخمسة: «الرّاجل ده ما فهشِ خير ويجب الاحتراس منه». ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك، واتسعت شقة الخلاف بين الإخوان، وبين عبد الناصر ورجال الثورة، حتى انتهت بالقطيعة بين الفريقين(١٢).

إذن قامت الثورة بدعم كامل وتنسيق شامل مع الإخوان، لا بل إن صلاح شادي أصر في الاجتماع الأخير قبل الانقلاب (٢١ تموز/يوليو) وفي حضور عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحي (من الضباط الإخوان) وعبد الرحمن السندي وحسين كمال الدين وحسن عشماوي وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق (من الإخوان)، على التذكير بالبيعة وإشهاد عبد الناصر ورفاقه على

---

(١٢) وردت هذه المذكرات والروايات في كتاب الدكتور صلاح الخالدي، **سيد قطب من الميلاد**، م.س، ص٢٩٠ ـ ٢٩٩، وانظر أيضاً: كتاب صلاح شادي، م.س، ص١٧٠ ـ ١٨٢.

هذا العهد بقراءة الفاتحة. وأول اتصال أجراه عبد الناصر بعد نجاح الانقلاب كان مع حسن عشماوي. كما أن الشخص الذي سهر على منزل وعائلة عبد الناصر وعلى تطمين أهله ليلة الانقلاب كان إبراهيم بركات من الإخوان. والضابط الإخواني عبد المنعم عبد الرؤوف هو الذي قام بمحاصرة الملك في قصره بالإسكندرية وأجبره على التنازل. وفي ٢٦ تموز/يوليو صاغت الهيئة التأسيسية للإخوان بيانها الشهير للإعراب عن فرحتها بنجاح الحركة المباركة لضباط الجيش في تحرير مصر. وفي مطلع آب/أغسطس وفي أول ظهور له منذ وفاة ابنه، صلّى والد حسن البنّا في المركز العام للإخوان وخاطب المصلين قائلاً: «أيها الإخوان؛ اليوم تحققت رسالتكم. إنه فجر جديد لكم ويوم جديد للأمة»[١٣]. ومنذ الأيام الأولى للثورة ألغى الضباط الأحرار قسم البوليس السري من وزارة الداخلية وصفوا نفوذه تماماً، وتم الإعلان عن إعادة فتح التحقيق في قضية اغتيال حسن البنّا كما جرى اعتقال العديد من أعداء الإخوان وعلى رأسهم محمد الجزار، أحد رؤساء البوليس السري المتخصصين في شؤون الإخوان والمتهم بالمشاركة في تدبير اغتيال البنّا. وفي المقابل جرى إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وأغلبهم من الإخوان، وجرى تعيين رشاد مهنا كواحد من الأوصياء الثلاثة على العرش[١٤]. كما صدر عفو خاص في ١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٢ عن المحكوم عليهم في قضية مقتل المستشار الخازندار. وصدر كذلك عفو خاص عن المحكوم عليهم في قضية

(١٣) مجلة آخر ساعة، في ٦ آب/أغسطس ١٩٥٢، ص٦.

(١٤) محمد نجيب، قدر مصر، ص١٣٦ ـ ١٣٨ ـ ١٤٦ ـ ١٥٩. وأيضاً مقالات حلمي سلام في مجلة المصور.

مقتل النقراشي باشا، وقد أفرج عنهم قبل صدور المرسوم بقانون رقم ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ (١٦ تشرين الأول/أكتوبر) بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التي ارتكبت في الفترة ما بين توقيع معاهدة ١٩٣٦ إلى ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢.

ومن مظاهر الود والارتباط بين ضباط الثورة والإخوان قيام قادة الثورة بزيارة الإخوان في مركزهم العام للتهنئة بعيد المولد النبوي الشريف (٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢)، وكان محمد نجيب على رأس الوفد الذي زار مع الهضيبي قبر الشهيد البنّا. كما قرر قادة الثورة إعادة التحقيق في قضية اغتيال البنّا وتقديم إبراهيم عبد الهادي (رئيس الوزراء المتهم بإصدار أوامر الاغتيال) إلى محكمة الثورة (حكم بالسجن المؤبد ثم أفرج عنه صحياً في شباط/فبراير ١٩٥٤). كما جرى تعيين عدد من الإخوان في المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومي (مرسوم قانون في ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٢) وفي المجلس الدائم للخدمات العامة (مرسوم قانون في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣) والأول هو المجلس المكلف بحث المشروعات الاقتصادية ووضع خطط التنمية في السياسة العامة، ووضع الخطط الرئيسية للتعليم والصحة والعمران والإشراف على المرافق العامة والشؤون الاجتماعية. وقد عُيّن في لجنة التعليم سيد قطب وفي مجلس الإنتاج الدكتور حسين كمال الدين وغيرهما[١٥]. إلّا أن شهر العسل لم يدم طويلاً؛ ففي ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٢ جرى اللقاء الأول بين الهضيبي وعبد الناصر في منزل صالح أبو رقيق، وفي هذا اللقاء رفض عبد الناصر طلب الهضيبي

---

(١٥) معلومات استقيتها من لقاءات القاهرة مع فريد عبد الخالق ومحمد عمارة ومحمد سليم العوا وطارق البشري وأبو العلا ماضي، ١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠.

التشاور مع الإخوان في الأمور السياسية الرئيسية قبل اتخاذ أي قرار نهائي، وقال عبد الناصر يومها: «إنه لا يقبل وصاية من أية جهة على الثورة». في حين أبدى الهضيبي لإخوانه عدم اطمئنانه إلى اتجاه حركة الضباط وعدم ثقته بالقائمين عليها[١٦].

وفي مطلع أيلول/سبتمبر سقطت وزارة علي ماهر (وكان توليه رئاسة الوزارة أحد أبرز شروط الإخوان لدعم الثورة كما رأينا سابقاً). وقيل إن سبب سقوط وزارة علي ماهر يكمن في معارضته للإصلاح الزراعي خاصة، وإن أول ما صدر عن الوزارة الجديدة برئاسة محمد نجيب كان قانون الإصلاح الزراعي كما اقترحه الضباط الأحرار.

وكان الخلاف بين الهضيبي وعبد الناصر قد ابتدأ منذ اللقاء الأول لهما (في ٣٠ تموز/يوليو)، وذلك حول قضية الإصلاح الزراعي، إذ إن الهضيبي تبنى موقف علي ماهر بتحديد الملكية بحدود ٥٠٠ فدان كحد أقصى، في حين أن مجلس قيادة الثورة رأى التحديد بمئتي فدان فقط[١٧].

وقد انفجر الخلاف في العلن إثر تشكيل وزارة محمد نجيب حين قرر مجلس قيادة الثورة إشراك الإخوان عبر ثلاثة منهم، على أن يكون الشيخ الباقوري أحد الثلاثة. والذي حصل هو أن الهضيبي وافق في البداية وأبلغ الباقوري موافقته وذلك قبل العودة إلى مكتب الإرشاد، وهو رشح حسن العشماوي ومنير الدلة اللذين

---

(١٦) صلاح شادي، م.س، ص١٨٢.

(١٧) صلاح شادي، م.س، ص١٨٣ ـ ١٨٤. ومحمد نجيب، قدر مصر، ص١٦٣ ـ ١٦٧.

رفضهما الضباط، ولا ندري لماذا، لا سيما وأن العشماوي كان الصديق المخلص لعبد الناصر. عند ذلك أخطر الهضيبي مكتب الإرشاد بعرض الحكومة دون إبلاغهم بأنه قدّم فعلاً أسماء رفضت. وقد قرر مكتب الإرشاد بالإجماع الامتناع عن المشاركة في الوزارة. أما الباقوري الذي كان الهضيبي قد أبلغه موافقته على تعيينه فهو لم يتبلغ قرار مكتب الإرشاد ومن ثم فإنه وافق على التعيين، ولم يقدر فيما بعد على التراجع حتى لا يُسجل عليه الإخلال بالمواثيق أو نكث العهود، فكان أن جرى فصله من الجماعة لاحقاً[١٨]. وهناك رواية أخرى تختلف عن الأولى، إذ جرى تقديم ثلاثة أسماء للهضيبي هي الباقوري وصالح عشماوي (وليس حسناً) وعبد القادر عودة. ولأن الاسمين الأخيرين هما من خصومه فقد بدا له أن الضباط يحاولون إضعاف سلطته في الجماعة، ومن ثم فقد اقترح من جانبه اسمي الدلة وحسن عشماوي وهما من أصدقاء عبد الناصر المخلصين[١٩]. وقد نشرت **الأهرام**[٢٠] أن الهضيبي اتصل بها وأبلغها اعتذار الإخوان عن الاشتراك في الوزارة، مع تأييدهم الكلي لحركة الجيش والعمل على نجاحها. ويروي وكيل الجماعة هذه الأمور في معرض تفسيره لقرار مكتب الإرشاد بعدم دخول الوزارة، ويبرر القرار بأنه ناتج عن خشية الجماعة من فقدان صفتها الشعبية بقبولها السلطة، وخوفها أيضاً من تعريض النظام الجديد لعداء الأجانب والأقليات في حال دخول الإخوان الوزارة[٢١]. وإذا نظرنا إلى المسألة من

(١٨) جريدة **الجمهورية**، عدد ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤.

(١٩) **الجمهورية**، ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ و**الأهرام**، ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤.

(٢٠) في عددها الصادر يوم ٨ أيلول/سبتمبر ١٩٥٢.

(٢١) **الجمهورية**، ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤.

زاوية سياسية براغماتية لأمكننا القول إن مكتب الإرشاد كان يعرف أن الوزارة والوزراء سيكونون واجهة شكلية لحكم الضباط الفعلي، وأن ثلاثة أصوات في اجتماعات الوزارة لن تفعل شيئاً وستكون شاهد زور على عملية استلام الضباط الفعلي للحكم. ولعل هذا هو سبب رفضهم قبول عرض قادة الثورة. كما أنه قد يكون الهضيبي غيّر رأيه، فيما بين إبلاغه بالعرض وبين اجتماع مكتب الإرشاد، وربما يكون قد اقتنع بحجج واعتراضات إخوانه في المكتب.

ولكن الغريب في كل هذه الروايات ما ذكره صلاح شادي[٢٢]، إذ إنه يقرر بأن عبد الناصر اتفق مع حسن عشماوي منذ أوائل أيلول/سبتمبر على تغيير علي ماهر وتشكيل وزارة جديدة يشارك فيها الضباط للقيام بأعباء الحكم. وأن اللقاء بين عبد الناصر وحسن عشماوي نتج عنه اقتناع عبد الناصر بإشراك الحزب الوطني بوزيرين. وحين عاتبه حسن العشماوي على عدم تشاوره مع الإخوان قبل الإقدام على خطوة كهذه تعتبر من الأساسيات المتفق عليها، أبدى عبد الناصر أسفه واعتذر بالرغبة في الإسراع بتأليف الوزارة الجديدة. ثم إنه عرض مشاركة الإخوان في الحكم واتصل بحضور العشماوي وعبد الحكيم عامر، بالمرشد الهضيبي الذي أجابه بأن عليه أن يعرض الأمر على مكتب الإرشاد، فرجاه عبد الناصر أن يتم ذلك قبل العصر، لأنهم يريدون تشكيل الوزارة في اليوم نفسه. وهنا يقول صلاح شادي إن عبد الناصر طلب من الهضيبي ترشيح بعض الأسماء وألح عليه إلحاحاً شديداً، فاضطر المرشد لأن يذكر له بعض الأسماء، مؤكداً أن هذا ليس ترشيحاً

(٢٢) مذكرات، ص١٩٠ ـ ١٩٣.

قبل موافقة مكتب الإرشاد. ثم طلب عبد الناصر من المرشد ترشيح بعض الشخصيات الإسلامية المقبولة من الإخوان، فرشح له المرشد بعض الأسماء مثل أحمد حسين وعبد العزيز علي وهما دخلا الوزارة فعلاً. ومن الأسماء التي رشحها الهضيبي ودخلت الوزارة الشيخ أحمد الباقوري، وهو عضو مكتب الإرشاد، وقد اتصل به عبد الناصر وأبلغه بتعيينه، في حين لم يستطع الإخوان العثور عليه لإبلاغه بالاجتماع، ولم يتمكنوا بالتالي من إبلاغه بقرارهم الامتناع عن المشاركة، فكان أن استقال الباقوري من مكتب الإرشاد انسجاماً مع نفسه بعد قبوله الوزارة.

هذه المعلومات التي يوردها صلاح شادي تدل فعلاً على حُسن نية عبد الناصر في التعامل مع الموضوع، وعلى شكوك وريبة الهضيبي تجاه ضباط الثورة، الأمر الذي أدى لاحقاً إلى مزيد من التباعد والافتراق، إذ إن عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة وجدوا في موقف الهضيبي ازدواجية.

وبسبب هذا الموقف بدأ الانقسام داخل الجماعة بين مجموعة تؤيد الحكومة (أحمد الباقوري، عبد الرحمن السندي، صالح العشماوي، محمد الغزالي، البهي الخولي). ومجموعة بقيادة المرشد حسن الهضيبي تتخذ منها موقف السلبية إن لم يكن العداء. حتى إن تعليمات وصلت بعد هذه الحادثة إلى شُعَب الإخوان تفيد بأن موقف الجماعة سيكون منذ الآن موقفاً سلبياً من الحكومة[٢٣]. ويبدو أن فرع طنطا كان من الفروع التي ورد إليها هذا القرار، إلا أنه عانى من انقسام داخلي كبير بسبب سيطرة أفراد عائلة حسين الشافعي (أحد أعضاء قيادة الثورة) على الفرع.

---

(٢٣) الجمهورية، ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤.

وهذا يعطينا فكرة عن تداخل المواقع العائلية والحزبية والدينية.

وبعد إبعاد علي ماهر والإمساك بالحكومة الجديدة، قرر الضباط التخلص مما يسمى مجلس الوصاية على العرش ومن رشاد مهنا بالطبع، وهو قائد إحدى المجموعتين الرئيسيتين للضباط الأحرار (إلى جانب مجموعة عبد الناصر)، وكان معروفاً بأفكاره الإسلامية وبمطالبته تطبيق الشريعة. وهكذا أُقيل رشاد مهنا من مجلس الوصاية في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ ثم اعتقل ثم أفرج عنه ثم أعيد اعتقاله في مطلع عام ١٩٥٣ بعد الحكم عليه بالسجن المؤبد (١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢). ثم جرى اعتقال ومحاكمة مجموعة أخرى من الضباط من مجلس قيادة الثورة المرتبطين بالجماعة (عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة ومعروف الحضري وغيرهم)[٢٤].

وعلى الرغم من هذه الخلافات، فإن قيادة الثورة قررت أيضاً تعيين ممثلين عن الإخوان في الجمعية التأسيسية المشكّلة من ٥٠ عضواً لوضع دستور جديد (١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٥٣)، هم: الدكتور محمد كمال خليفة، والشهيد عبد القادر عودة (وكيل الجماعة وعضو مكتب الإرشاد)، والشيخ محمد الأودن (عضو الهيئة التأسيسية) وصالح عشماوي (عضو مكتب الإرشاد) وحسن عشماوي، إضافة إلى عدد من أصدقاء الإخوان أمثال الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري والدكتور السيد صبري وغيرهما. كما شكل مجلس قيادة الثورة لجنة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي كان أبرز أعضائها سيد قطب، والدكاترة محمد يوسف موسى، ومحمد

---

(٢٤) محمد نجيب، قدر مصر، ص١٧٥ ـ ١٧٨. والسادات، صفحات مجهولة، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

ضياء الدين الريس، وعبد الحميد يونس، ومحمد النجار، ومحمد الصادق عرجون، وكل هؤلاء من المحسوبين على الإخوان.

وحين صدر قانون حل الأحزاب (١٦ كانون الثاني/يناير ١٩٥٣) فإن قيادة الإخوان لم تقابله بارتياح، لا سيما وأنها كانت تشهد منذ فترة انقساماً داخلياً حول موضوع الحزبية والسياسة، وبالتحديد أكثر منذ صدور قانون تنظيم الهيئات والأحزاب يوم ٩ أيلول/سبتمبر ١٩٥٢. فقد أساء الإخوان (عن قصد ربما) تفسير الكتاب الموجه إليهم من وزارة الداخلية استناداً إلى قانون ٩ أيلول/سبتمبر، القاضي بتسجيل جميع الأحزاب وتقديم المستندات التي يجري التسجيل بموجبها. وكان الكتاب يتضمن استفسارات عن أهداف الجماعة الواردة في برامجها، وهل فيها ما يشير إلى السعي للوصول إلى الحكم، فضلاً عن استفسارات أخرى متصلة بقيادة الجماعة إذا طلبت تسجيل نفسها كحزب سياسي. قُلت أساء الإخوان تفسير الكتاب لأنه أمر روتيني تمارسه الوزارة المختصة عقب صدور قانون جديد ينظم الحقل الذي هي مسؤولة عنه. إذ إن القانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ نص على «أن المقصود بالحزب السياسي؛ كل حزب أو جمعية أو جماعة منظمة تشتغل بالشؤون السياسية للدولة الداخلية منها أو الخارجية لتحقيق أهداف معينة عن طريق يتصل بالحكم». وقضى القانون بأن على «من يرغب في تكوين حزب سياسي أن يحيط بذلك وزير الداخلية بخطاب موصى عليه بعلم الوصول، وأن يشفع هذا الكتاب ببيان عن نظام الحزب وأعضائه المؤسسين وموارده المالية». ولوزير الداخلية حق الاعتراض على تكوين الحزب في خلال شهر من تاريخ إخطاره، وفي حالة الاعتراض يعرض الأمر على محكمة القضاء الإداري لتفصل في جلسة تحدد بعد أسبوعين من وقت تقديم الاعتراض.

وألزم القانون الأحزاب بإيداع أموالها في مصارف ليتم التصرف منها. ونصت المادة ١٦ من القانون على أن الأحزاب القائمة عند العمل به تعيد تكوينها وفقاً لأحكامه. إلى آخر ما هنالك من مواد قانونية تبدو جد طبيعية بقدر ما يبدو غريباً عدم فهم قيادة الإخوان لذلك.

وبدا أن تيارين يتنازعان صفوف الجماعة: الأول يقول بأن الإخوان يجب تسجيلهم كحزب سياسي، لأن السياسة جزء من مناهجهم، وثانيهما يقول بأن الإخوان ليسوا حزباً سياسياً ولكنهم هيئة إسلامية تقوم على أسس إسلامية لا تنطبق عليها التقسيمات التي تنادي بها النظم القائمة. وكان المرشد الهضيبي من أصحاب الرأي الأخير. وكان غريباً أن يتحدث هذا الرأي من كان غارقاً في السياسة منذ مطلع الأربعينيات. وقد أخذت الهيئة التأسيسية للإخوان بالرأي الأول، وتقدّمت بالطلب إلى وزير الداخلية (سليمان حافظ) لتسجيل الإخوان كحزب سياسي، وهو الطلب الذي أدخلهم في نطاق القانون، إذ أصدرت الهيئة التأسيسية قراراتها بتعديل نظام الجماعة وجعل مدة رئاسة المرشد ثلاث سنوات بدلاً من أن يكون منتخباً مدى الحياة وبجعل عدد أعضاء الهيئة التأسيسية ١٥٠ (يدخل هذا في باب إعادة التكوين وفق أحكام القانون). حينئذ قدّم الهضيبي استقالته ونشبت أزمة عنيفة انتهت بعودته عن الاستقالة. ولعل الخوف من الصراعات ومن ترك الجماعة في مهب الريح هو الذي دفع بالكثيرين من أعضاء القيادة إلى تفضيل بقاء المرشد وكسب الوقت في العلاقة مع قادة الثورة حول قرار الأحزاب، ما دام الإخوان يحظون بوضعية مميزة. وبالفعل قررت الهيئة التأسيسية العدول عن طلب التسجيل كحزب سياسي وتم سحب الطلب المقدم سابقاً (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٢). وهذا الموقف لم يؤثر على نظرة الضباط الإيجابية، بل

إن معظم قرارات إدخال الإخوان في الهيئات المسؤولة صدرت خلال الفترة ما بين تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٢ وكانون الثاني/يناير ١٩٥٣ (اللجنة الدستورية، مجلس الإنتاج، مجلس الخدمات، لجنة التعليم، لجنة التاريخ).

وحتى قرار حل الأحزاب (١٦ كانون الثاني/يناير ١٩٥٣) فإنه استثنى الإخوان من الحلّ وتعامل معهم باعتبارهم حزب الثورة أو الغطاء الشعبي لها. وبدا ذلك واضحاً أيضاً عند قرار تشكيل هيئة التحرير وطلب ضباط الثورة من قيادة الإخوان الاندماج في هيئة التحرير. وهذه النقطة عرضها محمد نجيب باعتبارها أحد أسباب استثناء الإخوان من قرار حل الأحزاب السياسية كافة[٢٥]. وفي حين اعتبر الإخوان قرار حل الأحزاب خطوة صحيحة في اتجاه الإصلاح السياسي، فإنهم زاروا عبد الناصر بعد يوم واحد من صدور قرار الحل لتهنئة الحكومة على خطوتها ولمناقشة مستقبل البلاد[٢٦]. ويروي صلاح شادي أنه هو الذي ذهب عند عبد الناصر يرافقه منير دلة، وأن عبد الرحمن السندي حضر خلال وجودهما عند ناصر وهو لم يكن موكلاً من قبل الجماعة للحديث عن شؤونها مع الدولة[٢٧].

وبحسب رواية صلاح شادي أيضاً فإن قرار تشكيل هيئة التحرير ودخول الإخوان فيها نوقش في اجتماع كبير جرى نهاية شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢ في منزل عبد القادر حلمي وحضره منير دلة، وفريد عبد الخالق، وصالح أبو رقيق، وحسن عشماوي، وصلاح شادي من الإخوان. وجمال عبد الناصر،

---

(٢٥) قدر مصر، ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢٦) جريدة الجمهورية، ٥ كانون الثاني/يناير ١٩٥٤، وفي ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤، حيث تنقل شهادة أحد أعضاء الوفد الذي زار عبد الناصر.

(٢٧) شادي، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

وعبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين، وصلاح سالم، وعبد اللطيف بغدادي، وأنور السادات، وأحمد أنور من جانب الضباط الأحرار. وينقل شاذي عن ناصر قوله في هذا الاجتماع، إن رغبته هي أن تنصهر جماعة الإخوان داخل هيئة التحرير فلا يعود لها شكلها المعروف وإنما تذوب بقيادتها في الهيئة الجديدة، لتكون تنظيماً جديداً تدخله جميع الأحزاب بدون حساسيات تمنع حالياً انضمام أي منها إلى هيئة الإخوان المسلمين[٢٨].

إن هذا الاجتماع هو بلا شك من أخطر الاجتماعات، وليس مجرد لقاء عابر في بيت صديق. ويشهد على خطورته كمية ونوعية الحضور من الجانبين، والرأي الخطير الذي طرحه جمال عبد الناصر ورفضه الإخوان (موقف مستغرب من جماعة ترفض الحزبية وتطالب بحل كل الأحزاب). ولعل مبرر الرفض يعود إلى حذر الهضيبي وشكوكه تجاه نوايا عبد الناصر ورفاقه، إذ رأى المرشد أن الهيئة الجديدة لن تمثل فكراً جديداً بل ستكون تكتلاً حكومياً يريد عبد الناصر استخدامه لإذابة الإخوان[٢٩]. إلا أن زيارة عبد الناصر ومحمد نجيب لضريح البنّا في الذكرى الرابعة لاستشهاده، (١٢ شباط/ فبراير ١٩٥٣)، ثم تعيين البهي الخولي (أحد قادة الإخوان) ضابطاً للاتصال بين الجماعة وهيئة التحرير ومديراً للإرشاد الديني بالهيئة المذكورة، في شهر آب/ أغسطس، وتشكيل محكمة الثورة في الشهر نفسه لمحاكمة إبراهيم عبد الهادي وغيره من قادة النظام السابق، وإعلان بلدية الإسكندرية إطلاق اسم البنّا على أحد أكبر شوارع المدينة، وفتح الباب أمام أفواج الإخوان لدخول معسكرات التدريب التي أقامتها الحكومة إبان المفاوضات مع الإنكليز حول

(٢٨) شادي، ص٢١١.

(٢٩) م.س.

مسألة السويس، كل هذه الأمور تشير إلى جدية ضباط الثورة في التعامل مع الإخوان كحزب صديق، إن لم يكن الحزب الوحيد المقبول منهم. وبالمقابل تشهد تلك الفترة قبول الجماعة التعامل مع هيئة التحرير بإرسال دعاة ينضمون إليها. ويبدو أن الإخوان كانوا يريدون أن يظلوا وحدهم في الساحة، فهم رحبوا بقرار حل الأحزاب، وخافوا من قرار إنشاء هيئة التحرير، في حين أن النظام كان يريد استخدام الإخوان كحزب شعبي مؤيد لهم. وحين ظهر أن الإخوان يتعاملون مع النظام باعتبار أنهم أصحاب فضل عليه، وأن النظام يتعامل مع الإخوان باعتبارهم من أهل البيت، وأن عليهم الانضواء تحت سياسات الدولة دون استقلالية فكر أو عمل، بدأ التناقض وبدأ الصراع يأخذ أبعاده الحقيقية. ويبدو من تصرفات وكلام الإخوان في تلك المرحلة أنهم كانوا يعتبرون الجيش والضباط غير قادرين على حكم البلاد وعلى بناء حكومة إسلامية، وأن عملهم يقتصر على التمهيد عبر قيامهم بالانقلاب وترك الأمور من ثم للإخوان. ويلفت الانتباه في هذا المقام مقال معبّر نشرته مجلة **المسلمون** الناطقة باسم الإخوان في شهر آب/أغسطس ١٩٥٢، أي بعد شهر على الانقلاب، وفيه التفريق بين عملين: «الأول يزيل الكابوس الجاثم فوق صدر الأمة»، و«الثاني إنفاذ أحكام الإسلام بواسطة جيل مسلم العقل والعاطفة والأخلاق». وقالت المجلة: «إن العمل الأول قام به الجيش بحركته الميمونة، أما الثاني فلا يستطيع تنفيذه إلا أولئك الذين يستطيعون فهم الإسلام فهماً دقيقاً، والتربية الحية التي تصنع لهذا الدين قادة من نوع جديد، وجنداً لا تزيغ أبصارهم ولا أقدامهم في معركة الحق والباطل الرهيبة». فيظهر من ذلك أن الإخوان اعتقدوا أنهم يستطيعون توجيه حركة الضباط وحكومتهم توجيهاً إسلامياً، وأنهم

قبلوا منها «أن تنفّذ من خير الإسلام ما تستطيع تنفيذه» إلى أن يحين الوقت لاستكمال الجيل الجديد العدة، وأنهم أعطوها لذلك مهلة عشر سنوات[٣٠]. ويروى عن عبد الناصر قوله: «لقد قلت للمرشد سابقاً إننا لن نقبل الوصاية، وإنني أكررها اليوم مرة أخرى في عزم وإصرار»[٣١]. وهكذا اتسعت شقة الخلاف، وصار الإخوان يهاجمون الحكومة والضباط، ويتسللون إلى داخل الجيش والشرطة عبر تنظيم خلايا لهم ويسعون للسيطرة على النقابات وذلك بتخطيط من الجهاز السري[٣٢].

والأمر الجديد في هذا الصراع بين الجيش وقيادة الإخوان أن عناصره كلها انتمت أو كانت تنتمي إلى الإخوان. وأن الإخوان كحركة أو كجماعة منظمة لم يكونوا في موقف موّحد أثناء هذا الصراع.

وإذا كان عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة قد اعتقلا مع قيادة الإخوان في حملة اعتقالات ١٩٥٤ بتهمة تشكيل تنظيم سري مسلح والتآمر لقلب نظام الحكم، فإن السؤال الكبير الذي لم يكشف سره أحد يبقى: لماذا لم يُعتقل عبد الرحمن السندي ورفاقه من قادة النظام الخاص خلال تلك الحملة؟ ولماذا ظلوا خارج السجن حتى عام ١٩٦٥؟ لا بل لماذا عيّن عبد الناصر عبد الرحمن السندي موظفاً في شركة شل وأسكنه فيللا في الإسماعيلية؟ (بحسب رواية التلمساني).

يؤكد عمر التلمساني في مذكراته[٣٣] أن عبد الناصر هو الذي احتوى عبد الرحمن السندي، فأفشى له هذا الأخير كل أسرار

---

(٣٠) انظر: الحسيني، م.س، ص٢٣٢، نقلاً عن محاضر محكمة الشعب.

(٣١) محاكمات، كيره، م.س، ج/١، ص٤٤.

(٣٢) انظر: محاكمات كيره، م.س.ن، والحسيني، م.س، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣٣) ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، مرجع سابق، ص٢٧٧.

النظام الخاص. وما يؤكد كلام التلمساني هذا دور عبد الرحمن السندي في التمرد على قيادة الهضيبي وفي شق الجماعة، وتكوين تيار مؤيد للضباط الأحرار خلال أسوأ مرحلة من تاريخ الجماعة، وهي مرحلة الصراع مع قيادة الثورة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) والتي سبقت حملة الاعتقالات الكبيرة الأولى.

لقد ظلت الجماعة دون مرشد عام، بعد اغتيال الإمام البنّا، وخلال مرحلة ٤٩ ـ ٥١ كان عبد الرحمن السندي يقود النظام الخاص (ومن خلاله الجماعة بأكملها) بالتعاون مع عبد الناصر والضباط الأحرار، يؤيده الشيخ الباقوري وعبد الرحمن البنّا (شقيق الإمام) وعدد آخر من أعضاء الهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد، أبرزهم محمد الغزالي والبهي الخولي والسيد سابق. وكان هؤلاء يعطلون عملية انتخاب مرشد جديد ويتمسكون بأسماء معينة هي (إضافة إلى الباقوري والبنا) صالح عشماوي، وعبد الحكيم عابدين. وفي النهاية تعاون فريد عبد الخالق ومنير دلة وصالح أبو رقيق وهم من الهيئة التأسيسية ومن رفاق الإمام البنّا، على عقد جلسة جرى فيها انتخاب المستشار حسن الهضيبي مرشداً للجماعة، وهو كان وكيلاً لمحكمة النقض وفقيهاً في الشريعة والقانون. وعند انتخاب الهضيبي رفض جماعة النظام الخاص هذا الأمر وتمردوا على المرشد واحتلوا منزله وقطعوا أسلاك الهاتف عنه، ثم احتلوا المركز العام للإخوان. وتحول الأمر إلى انشقاق واضح حين تجمّع رجال الإخوان ممن يؤيد المرشد في جامع السلطان حسن، وقرروا الهجوم على المركز العام وإخراج السندي وجماعته بالقوة. وتولى فريد عبد الخالق وعمر التلمساني مفاوضة الطرفين وإخراج المحتلين بسلام. إثر ذلك أقام الإخوان حفلاً للمرشد العام الجديد حضره عشرات الألوف، وانتهى عبد الرحمن السندي ونظامه الخاص لتبدأ محنة الإخوان مع النظام الحاكم في مصر.

# مفاجآت حول مسألة النظام الخاص والإخوان

«ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»! إذن هذه كانت شهادة الرجل في أعضاء التنظيم الذي كوّنه ولم يغيّرها أو يترك وراءه ما يفيد بتغييرها، رغم أنه كان طليقاً يكتب البيانات منذ حادثة مقتل رئيس الوزارة في ٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ وحتى اغتياله في ١٢ شباط/فبراير ١٩٤٩، مما يفيد بأن هذا هو رأي الرجل في الذين التزموا منهجه، إذ لم تنجح نظريته التربوية في ضبط أخص فرعية فيه، وهي النظام الخاص الذي جهد في تكوينه فوقع ضحية له. وبحسب ما جاء في مذكرات الدكتور عبد العزيز كامل القيادي في تنظيم الإخوان المسلمين، وعضو النظام الخاص فيه ووزير الأوقاف السابق[1]، فقد حاول الشيخ حسن البنا أن يشدد ضوابطه على النظام الخاص بعد مقتل القاضي أحمد الخازندار، ولكنه فشل في إيقاف القاطرة التي أشعلها بكل لهب مقدس وجده بين يديه، فانطلقت لا تأبه لرئيس أو مرشد، وكان السبب الرئيسي للفشل هو

(١) في نهر الحياة، المكتب المصري الحديث، القاهرة، آب/أغسطس ٢٠٠٦. وهي مذكرات شديدة الأهمية، وقد قدّم لها الدكتور محمد سليم العوا ونوجز هنا أبرز ما فيها.

«تبنيه للدليل كمرجعية لتنظيمه وإنكاره للشورى»، فكانت النتيجة تشتيت السلطة وتواصل الخروقات التي أدانها بقوة في مقولته الشهيرة ـ ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين ـ وهنا تميز الشيخ حسن البنا بالشجاعة والصدق، فقد أدرك بأنه أطلق شراً مستطيراً فتبرأ منه واصفاً بتلك الكلمات كل المؤمنين بنظريته في التربية والاستناد على الدليل كمرجعية مطلقة، وكذلك الذين يلتحقون بهم إلى يوم يبعثون، وذلك «بعد امتحان حقيقي لمنهجه الذي فشل في محك التطبيق العملي». فالفوضى التي نتجت عن إطلاقه حق الجهاد والفتوى دون رابط وسط الجماعة، أضرت بالجماعة والأمة ولا علاقة لها بالإسلام الذي ضبط كل شؤون ولاية الأمر من فتوى وجهاد وتطبيق أحكام بشورى المسلمين فريضة من عند الله ﷻ ومرجعية عليا للمسلمين بنص آية الشورى، وكذلك أقر الإسلام التعددية السياسية سنة إلهية تجمع أهل الآراء السياسية المتقاربة، الشيء الذي لم يؤمن به الشيخ حسن البنا فدفع الثمن غالياً». هذا وأدان كامل في مذكراته عدم إيمان حسن البنا بمبدأ الشورى، وكذلك اتباع النظام الخاص أسلوباً يشبه النظم الماسونية، وعدم حنكة الجماعة في اتخاذ القرارات بل والتسرع فيها اعتقاداً منها أن الله سيتكفل بإصلاح أخطائهم.

وفجّر كامل مفاجأة بكشفه عن وجود علاقات بين الجماعة الإسلامية التي كان يرأسها أبو الأعلى المودودي في باكستان والإخوان، وسعي المودودي إلى ضرورة التنسيق بينه وبين الإخوان في طرق العمل. كما تناولت المذكرات ما أسمته بـ «صدمة سيد قطب من ضحالة فكر قيادات الجماعة»، كما تعرضت لما حدث للهضيبي المرشد الثاني للجماعة أثناء الاعتقال. وكان عبد العزيز كامل تعرّف على فكر الإخوان عندما التقى بصديق له يدعى محمد

عبد الحميد في آداب القاهرة عام ١٩٣٦ وقرأ له تلخيصاً لدعوة الإخوان المسلمين، ثم تلقى منه دعوة للحضور بالمركز العام للإخوان المسلمين في ١٣ شارع الناصرية بالسيدة زينب للاستماع إلى حديث حسن البنّا الأسبوعي يوم الثلاثاء. وهذا المقر هو الأول للجماعة بالقاهرة. يومها ركز البنّا في حديثه على الإيمان والعبادة ثم انتقل إلى فريضة الجهاد، وهو ما يعد شرحاً لخواتيم سورة الحج، التي لا تجد عضواً في الجماعة إلا وحفظها. وأوضح البنّا أن المسلم هو أستاذ الإنسانية وأن أمته أستاذة العالم، وأن عليه أن يوقن بذلك. واعتبر كامل حديث البنّا انتقالاً بالدعوة إلى الصعيد العالمي. حاول كامل أن يدرس جوانب شخصية المرشد الأول للجماعة، ولماذا لم يختر لنفسه اسم الرئيس أو ما شابهه. وأدرك فيما بعد أن لقب المرشد نبع من اتباع البنّا الطريقة الصوفية الحصافية بالبحيرة، وتردده على مجالس الذكر فيها مما ترك لمسة صوفية على تصرفاته. وانتقل كامل في مذكراته إلى أحداث صباح يوم ٢٢ آذار/مارس ١٩٤٨ عندما تم اغتيال المستشار أحمد الخازندار أمام منزله في حلوان وهو متوجه إلى عمله، على أيدي شابين من الإخوان، وأرجع كامل الحادث إلى مواقف الخازندار المتعسفة في قضايا سابقة أدان فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم على جنود بريطانيين في الإسكندرية بالأشغال الشاقة المؤبدة في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧. وقد استدعي البنّا للتحقيق في مقتل الخازندار ولكن أفرج عنه لعدم كفاية الأدلة. وسرد كامل ما دار في الجلسة الخاصة التي عقدتها الجماعة برئاسة البنا وحضور أعضاء النظام الخاص حول مقتل الخازندار، وبدا المرشد متوتراً على حد قوله وعصبياً، وبجواره عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص الذي كان لا يقل توتراً وتحفزاً عن

البنا، إضافة إلى قيادات النظام أحمد حسنين، ومحمود الصباغ، وسيد فايز، وأحمد زكي، وإبراهيم الطيب، ويوسف طلعت، وحلمي عبد الحميد، وحسني عبد الباقي، وسيد سابق، وصالح عشماوي، وأحمد حجازي، ومصطفى مشهور، ومحمود عساف.
وفي هذه الجلسة قال المرشد: إن كل ما صدر مني تعليقاً على أحكام الخازندار في قضايا الإخوان هو «لو ربنا يخلصنا منه» أو «لو نخلص منه» أو «لو حد يخلصنا منه» بما يعني أن كلماتي لا تزيد على الأمنيات ولم تصل إلى حد الأمر، ولم أكلف أحداً بتنفيذ ذلك، ففهم عبد الرحمن السندي هذه الأمنية على أنها أمر واتخذ إجراءاته التنفيذية، وفوجئتُ بالتنفيذ. ولفت كامل إلى أن البنّا مساء يوم الحادث ولهول ما حدث صلى العشاء ثلاث ركعات وأكمل الركعة الرابعة سهواً، وهي المرة الوحيدة التي شاهد فيها أعضاء التنظيم المرشد يسهو في الصلاة. ورصدت المذكرات احتدام الخلاف بين البنا والسندي أمام قادة النظام الخاص، وذكر كامل أن هذه هي المرة الأولى التي خضع فيها السندي للمحاسبة أمام البنّا وقيادات النظام الخاص، وكذلك الأولى بالنسبة إلى المرشد، التي يقف فيها صراحة أمام نفسه إلى الدرجة التي دفعته لأن يقول للسندي: أنا لم أقل لك ولا أتحمل المسؤولية، ورد السندي: لا، أنت قلت لي وتتحمل المسؤولية. وحكى كامل أنه التقى صلاح عبد الحافظ المحامي وشقيق أحد المتهمين في مقتل الخازندار، ووجده ناقماً على الجماعة التي أوقعته في تلك الظروف، وسعيه إلى إثبات أن أخاه يعاني من انفصام في الشخصية حتى ينجو من الإعدام. وأشار كامل إلى أن عام ١٩٤٨ ومطالع عام ١٩٤٩ كانت من أكثر الأعوام دموية عند الإخوان، ولهذا فتحت لهم المعتقلات وأعدت قوائم بالآلاف كانت تحت يد رجال

الثورة حين أرادوا توجيه ضربتهم للإخوان سنة ١٩٥٤ وما بعدها. بعد هذه الأحداث نقل البنّا لكامل رغبته في التفرغ لتعليم وتربية وتكوين الشباب.

مئة شاب فقط يقابل بهم ربه ليجادلوا عنه يوم القيامة. كان هذا الفكر قد تبلور في ذهن البنّا بعد نصيحة تلقاها من عبد الستار سيت سفير باكستان في القاهرة، بأن يعتني البنّا بمن يتوسم فيهم الذكاء والوصول يوماً إلى مقاعد الحكم وبعدم العجلة، وسيكون لديه وقتها جيل قادر على التغيير. وعرّج كامل على فكر الإمام البنا، مؤكداً أن البنا لم يؤمن بمبدأ الشورى، وأن الشورى عنده غير ملزمة للإمام، وإنما هي معلمة فقط، وقد كتب البنّا هذا الرأي ودافع عنه ولم يتحول عنه، بل وسرى هذا الفكر إلى من حوله في أواخر الثلاثينيات، وهي السنوات الأولى لكامل في الإخوان، حيث كان يسمع كثيراً كلمة «بالأمر» رغم أنها كلمة عسكرية، ولهذا لا يجد عضو الإخوان من يناقشه إذا كلفه رئيسه المباشر بأي أوامر بل ينبغي أن يكون هذا محل تسليم، وهي نقطة الخطورة التي أصابت جسم الإخوان بالخطر من وجهة نظر كامل، إذ أسس البنا النظام الخاص على السمع والطاعة والكتمان، وهو ما سهل خروج النظام عن أهدافه. وبالنسبة إلى النظام الخاص يقول الدكتور عبد العزيز كامل: كان عبد الرحمن السندي المسؤول رقم واحد فيه، رغم معاناته من روماتيزم في القلب، ولذا كان السؤال الذي يدور في خلد كامل دائما هو: كيف يتحمل السندي مسؤولية نظام يحتاج منه إلى المرور على المحافظات والإشراف على التدريب والرحلات الخلوية حيث أصوات طلقات الرصاص والقنابل اليدوية؟ ويتساءل كامل كيف تمنع صحة السندي إتمامه للدراسة الجامعية وتساعده على الإشراف على هذا الجهاز الخطير الذي

يحتاج إلى أعلى درجات اللياقة البدنية والفكرية؟ كما أن شعوره بمكانته لدى المرشد وأفضليته على أعضاء مكتب الإرشاد وتمسكه بموقعه يفقده القوامة لقيادة الجهاز. وكشف كامل عن أن الترشيح لعضوية النظام يخضع لسلسلة من الاختبارات تتركز على قدرة المرشح على السمع والطاعة، فكان يحمل حقيبة من مكان لآخر ولا يعرف ما فيها، ويراقب تصرفاته أحد أعضاء النظام وقد لا يكون فيها أكثر من ملابس عادية، أو قطع من الحديد تشعره بالثقل، وقد يؤمر بنقلها من بلد لآخر، أو الاحتفاظ بها أياماً، ولديهم وسائل يعرف من خلالها ما إذا كانت الحقيبة قد فتحت أم لا. فإذا اجتاز تلك الاختبارات تحددت له ليلة البيعة داخل شقة لأحد قادة التنظيم في حي السيدة عائشة قرب جبل المقطم، ويبيت عنده المرشحون يتعبدون طوال الليل ثم يؤمرون واحداً بعد الآخر بالدخول إلى غرفة مظلمة، لا يرى فيها أحد، ويجلس على الأرض بعد خطوات محددة، ويمد يده إلى حيث يوجد مصحف ومسدس وتمتد يد ممثل المرشد ليبايعه على السمع والطاعة والكتمان دون أن يرى وجهه. ويذكر كامل تجربته حين دخل كي يبايع المرشد ولم يكن الصوت غريباً عليه فقال: ما هذا يا عشماوي؟ وهل من الإسلام أن أضع يدي في يد من لا أعرف؟ ثم إنني أعرفك من صوتك وأتحدث معك كل يوم، ما هذه الأساليب التي أدخلتموها على عملنا ولا أساس لها من ديننا؟ فأجاب صالح عشماوي وكان عضواً في مكتب الإرشاد ورئيس تحرير مجلة **الإخوان**: هذا نظامنا. بعد البيعة يذهب من أقسم إلى جبل المقطم يتدرب على إطلاق النار فترة قصيرة، حيث كانت الأسلحة مخبأة في مكان هناك حتى لا يضطروا إلى حملها كل مرة، ويعودون بعد هذا إلى منزل البنّا وبصحبتهم السندي في لقاء قصير يحييهم فيه ويدعو لهم

بالخير. وانتقد كامل هذا الأسلوب السري الذي اتبعته الجماعة، معتبراً أن طقوس الانضمام إلى النظام الخاص أشبه بالنظم الماسونية، فضلاً عن آثار هذا الأسلوب الوخيمة على طريقة العمل الإسلامي. وأبدى كامل استياءه من فكر الإخوان، لأنهم لا يبذلون الكثير من الوقت والجهد في تقليب الأمور واتخاذ القرارات ودراستها بعمق، اعتقاداً منهم بأنهم إذا أخطؤوا فإن عناية الله ستتكفل بإصلاح هذا الخطأ. ورصد كامل صدام الإخوان مع ثورة يوليو بعد سعي الإخوان لإصدار مجلة جديدة بجانب مجلة «الدعوة» ومحاولة سيد قطب وحسن الهضيبي احتواء الأزمة، حيث تقدم كامل باقتراح يقضي بالاكتفاء بسلسلة من الرسائل، لأن المجلة ستضطر الإخوان إلى اتخاذ مواقف، وقد تعودهم على أساليب النقد والمعاداة أكثر من طرح الاقتراحات البناءة، كما أن المجلة ستؤدي إلى توسيع الهوة بين الإخوان والثورة وهو ما حدث بالفعل، إذ اضطر الرقيب إلى حذف مقالات ورسوم كاريكاتورية مما زاد حدة التوتر. ووصل في هذا الوقت ظفر الأنصاري إلى القاهرة، وهو أحد المقربين من أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وأخبر كامل أن لديه رسالة من المودودي إلى حسن الهضيبي مرشد الإخوان الأسبق، وبالفعل التقيا به، ودارت رسالة المودودي حول حتمية عدم صدام الإخوان بالثورة بأي طريقة، لأن الجماعة الإسلامية وقتها كانت تخوض تجربة قاسية مع حكومة باكستان، فزعماؤها في السجن ونشاطها مقيد، ومن الممكن أن يستطيع الإخوان تقديم العون لهم إذا حافظوا على قوتهم، أما إذا دخلوا في صراع مع عبد الناصر فلن تتلقى الجماعة الإسلامية أي دعم مادي أو أدبي منهم، وكان المودودي يأمل في تعاون الجماعات الكبيرة مثل الإخوان والجماعة الإسلامية.

ويوضح كامل أن الجماعة الإسلامية الباكستانية لم تكن تؤمن بالعنف بعكس الإخوان المسلمين، فالمودودي يعرف أن يدهم قد تتحرك بالسلاح سريعاً في حالة اشتباكهم مع الثورة، وهو ما لا يريده لهم، وحاول كامل أن يعضد وجهة نظر المودودي عند الهضيبي، لأن الخاسر من الصراع هو الشعب والإسلام. إلا أن موجة الاعتقالات بدأت مع مطلع عام ١٩٥٤ بالهضيبي وعبد القادر عودة وعبد الحكيم عابدين وحسن عشماوي ومنير دلة وصلاح شادي، إضافة إلى عبد العزيز كامل الذي لفت انتباهه عدم وجود قادة النظام الخاص في المعتقل معهم. واستعرض كامل جزءاً من التحقيقات التي أجريت مع حسن عشماوي، الذي كان على صلة طيبة بعبد الناصر وإحدى حلقات الوصل بين الإخوان والثورة حين عاد من التحقيق وعلى وجهه علامات الدهشة، فقد عثروا على أسلحة في مزرعته وسألوه عنها فأجاب: لا أستطيع الرد إلا بعد استئذان عبد الناصر! مشيراً إلى أن الأسلحة كانت للضباط الأحرار، وعندما ضيقت عليهم حكومة الملك طلب منه عبد الناصر أن يحفظها في مزرعته، وأوضح له كيفية حفظها، ورسم له الخطة المناسبة لذلك بالورقة والقلم، وبالفعل قام عشماوي بحفظ الأسلحة عنده، مؤكداً أن عبد الناصر الوحيد الذي يعلم بأمرها.

وأوضح كامل أن الاعتقالات الأولى في ١٩٥٤ قسمت الإخوان إلى شريحتين، الأولى تعاونت مع الثورة، والأخرى زج بها في المعتقلات، وهي تمثل الأغلبية الصامتة من أعضاء الجماعة، إضافة إلى القيادة العامة للجماعة. وأشار كامل إلى أن تجربة المعتقل مع الإخوان كانت قد كشفت لسيد قطب ضحالة فكر قيادات الإخوان، وهو ما كان يُسرّ له به حين يلتقيه في السجن. وأضاف كامل أن السجن الحربي شهد إذلال قيادات الإخوان وعلى رأسهم الهضيبي، وعبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، وحسين كمال الدين، وكمال خليفة.

# روايات أخرى عن الصراع داخل الإخوان حول النظام الخاص

ستوقف هنا قليلاً عند روايات الصراع الذي اندلع بين قيادات الإخوان حول النظام الخاص والعلاقة بالضباط وبالسلطة. وهي روايات مهمة تُبرز هشاشة الانتماء والوعي الحركي، وسيادة الفردية والشللية في العلاقات بين هؤلاء القادة الذين كانوا يستعدون لقيادة البلاد. كما تبرز من هذه الروايات سيطرة العقلية المخابراتية والمؤامراتية على الكثيرين منهم.

الرواية الأهم أدلى بها علي عشماوي[1] حول ظروف تشكيل النظام الخاص، ثم حقيقة الصراعات بينه وبين المرشد العام والتنظيم عموماً. فهو يقول بأن الشيخ صالح عشماوي هو من تولى قيادة النظام وأشرف عليه منذ بدايته، وبدأ مع الأستاذ البنّا فى اختيار الإخوان الأوائل من هذا النظام والإشراف على تربيتهم روحياً، وكأنهم في طريقة صوفية. وعسكرياً وكأنهم جنود في

---

(١) التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرات علي عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ٢٠٠٦، وهناك طبعة أولى كانت صدرت عن دار الهلال، ١٩٩٣. ونحن نوجز هنا الصفحات ٩٣ ـ ١٠١.

جيش. وكانت البرامج مركزة جداً لأنهم مختارون بعناية شديدة وإعداد جيد، ولذلك كانوا يكلفون بأعمال كثيرة وجادة. وقد زاد عدد أفراد هذا النظام فى فترة الأربعينيات، حيث كانت الفترة الذهبية لنشاط الإخوان في الجامعة وباقي أفرع الحياة، وتوج هذا الإعداد بحرب فلسطين، فقد كانت أول حقل فعلي لتدريب الإخوان على خوض المعارك الفعلية. كان إرسال الإخوان إلى حرب فلسطين نابعاً من هذا المنطلق، لكن الأستاذ البنّا علم أن هناك مؤامرة دولية للقضاء على هذا الصف المدرب والمعد إعداداً جيداً، أثناء القتال. ولما تأكد من ذلك أرسل أوامره للشيخ محمد فرغلي ألا يدخل أي معركة حتى تصدر إليه الأوامر من القاهرة، وعليه أن يخفي ذلك عن الإخوان.

وطال انتظار الإخوان لدخول المعركة، وكانوا من قبل يخرجون للعمليات أكثر من مرة فى الليلة الواحدة، واستمر انتظارهم شهراً كاملاً حتى تسرب القلق إلى صفوفهم، وبدأت الشائعات تسرى بينهم بأن الشيخ محمد فرغلي خائن وأن اليهود قد اشتروا ذمته. ولهذا فهو يمنعهم من القتال. ولما وصل الأمر إلى الشيخ فرغلي وعلم أن الأمر قد وصل ببعضهم أن يتفقوا على قتله، جمعهم وأفضى إليهم بما عنده من أوامر من القاهرة، وتمت تصفية الموقف وبدؤوا يشاركون فى العمليات مرة أخرى، ولكن بحذر شديد وبغير تكثيف.

وبحسب عشماوي فقد كان للنظام الخاص قيادة من أربعة أفراد تساعدهم هيئة تأسيسية مكونة من أحد عشر فرداً. أما التنظيم العام للجماعة فهو الإرشاد، والهيئة التأسيسية، وقيادات المكاتب الإدارية، والمناطق. كل هؤلاء كان يتم اختيارهم على أساس

الوضع الاجتماعي المؤثر، دون النظر إلى قناعتهم الكاملة بأهداف الجماعة، وكان يتم تشبيه جمهور الإخوان الموجود بالشعب بالمرضى داخل المستشفى، فمنهم المريض جداً، ومنهم من هو فى دور النقاهة، ومنهم الذي بدأ يشفى وتعود إليه صحته. وكان من بين أفراد المجلس الأعلى للنظام: عبد الرحمن السندي، وأحمد زكي، وأحمد حسنين، وأحمد عادل كمال، ومحمود الصباغ، ومصطفى مشهور، وأحمد الملط.

«وكانت البيعة تتم في منزل معين، وكان أخذ البيعة يتم خلف ستار وفي جو قريب إلى الظلام، ثم يبدأ بالحديث عن الجماعة وأهدافها وتاريخها، ثم يتم إحضار مسدس ومصحف وتتلاقى الأيدى على المسدس والمصحف ويتم القسم، وهي بيعة لله على السمع والطاعة للجماعة وقادتها، ثم بعد ذلك يتم التدريب على حلّ أجزاء المسدس وتركيبه وصيانته وكيفية استعماله».

«وبتاريخ ١٩٥٣/١١/٢٣ صدر قرار من المرشد العام بفصل أربعة من قيادة النظام، وهم: عبد الرحمن السندي وأحمد زكي وأحمد عادل كمال ومحمود الصباغ، وزاد الأمر سوءاً أنه قد استتبع هذا القرار قرارات أخرى بفصل أعداد أخرى من قيادات النظام ومنهم صالح عشماوي، الذي كان يُعتبر أبو النظام الخاص، والشيخ محمد الغزالي، وسيد سابق، وهم ممن تربى الإخوان على كتبهم وعلمهم. وفي المقابل كان المستشار حسن الهضيبي اسماً جديداً غير معروف، ولا يتحدث طويلاً في الاجتماعات، فلم يكن خطيباً، وكان حوله مجموعة من الإخوان بعيدة عن التشكيلات الخاصة، بل إنهم كانوا كثيراً ما يقفون ضد النظام وحركته وقياداته. كل هذا كان له أثره في انهزامية الروح المعنوية لأفراد

النظام الخاص، الذي يفترض أن يكون وقود الحرب أو المقاومة داخل الجماعة».

«ولما حدثت قرارات الفصل ذهب عدد من المفصولين لمقابلة الأستاذ الهضيبي في منزله لمناقشة قرار فصلهم من الجماعة، لكنه كان حاداً معهم. فاحتد بعضهم وطالبوه بالاستقالة، حتى إن محمود زينهم أشهر مسدسه في وجهه محاولاً إرغامه على توقيع الاستقالة، ولكنهم فشلوا في ذلك فذهبوا جميعاً إلى المركز العام واعتصموا داخله، غير أن بعض الأخوة من الجانب الآخر حضروا إلى المركز وتمكنوا من السيطرة عليه وإجبارهم على الرحيل. وكان من أثر ذلك كله ظهور قائمة أخرى من المفصولين مما زاد الأمر تعقيداً، وترتب على ذلك أن اعتبر أعضاء النظام القديم مشكوكاً في ولائهم، مما حدا بالقيادة الجديدة ترتيب لقاءات مبايعة على دفعات بينهم وبين الأستاذ الهضيبي، بحضور المرحوم يوسف طلعت والقيادة الجديدة».

«وفي صبيحة أحد الأيام اهتزت الجماعة على نبأ اغتيال الأخ سيد فايز، وقد كان من إخوان النظام القدامى، وقد تخصص في صناعة المفرقعات. وقع هذا الحادث قبل فصل الأربعة: أحمد عادل، وعبد الرحمن السندي، وأحمد زكي، ومحمود الصباغ. إذ إنه في هذه الفترة كانت مجموعة صلاح شادي ومنير دلة تحاول السيطرة على أفراد النظام الخاص ومعرفة من هم. ولم يتمكنوا من ذلك إلا بمعاونة سيد فايز بعد أن استمالوه إلى جانبهم. وكانت الضربة السريعة التي كان يتميز بها عبد الرحمن السندي، فتمت تصفية سيد فايز، وتلتها أحداث أخرى. وقد كان لهذا الحادث وما تلاه أثر كبير في الإجهاز النهائي على الروح المعنوية لأفراد النظام، إذ اتضح أننا بدأنا في تصفية بعضنا بعضاً، وثار لغط كبير

حول هذا الحادث، حتى إن الشكوك حامت حول جمال عبد الناصر، وقيل إنه هو الذي دبر هذا الحادث كي يشق الجماعة بشدة؛ فيسهل عليه تحطميها بعد أن باتت المواجهة بين الطرفين وشيكة ومعلومة لكليهما».

# رواية أحمد عادل كمال وتيار الصقور

أما أحمد عادل كمال[1] (ويسمونه في مصر صقر النظام الخاص، وهو من القائلين بخيانة الهضيبي، كما أنه كان من المشاركين في اغتيال القاضي الخازندار باشا) فيقول: إن «الأربعة الكبار اجتمعوا واختلفوا على من يخلف البنّا، فاتفقوا على حسن الهضيبي (وهو رجل كبير ومريض، ولم يكن معروفاً عنه أنه من الإخوان ولا يعرفه أكثر القادة والكوادر). وكان الاتفاق على الهضيبي كرمز توفيقي فرصة لكل واحد من القادة الكبار لإعادة تجميع الأنصار قبل اجتماع الهيئة التأسيسية، وهي لم تكن تجتمع بسبب قرار الحل الحكومي. وهؤلاء الأربعة هم عبد الرحمن البنا (شقيق الإمام الشهيد)، وكان هو المراقب العام، وعبد الحكيم عابدين السكرتير العام، وصالح عشماوي الوكيل العام، والشيخ الأزهري أحمد الباقوري). وفي ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥١ اجتمعت الهيئة التأسيسية في منزل صالح عشماوي، وأعلنت انتخاب الهضيبي مرشداً عاماً. وعندما أصبح واضحاً أن الهضيبي

---

(١) أحمد عادل كمال، **النقط فوق الحروف: الإخوان والنظام الخاص**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ط ١، صدرت في كانون الثاني/يناير ١٩٨٧.

قد أوشك على كشف اللغز المحير الذي يحيط بعضوية وتنظيم الجهاز السري، وكان الانتصار الذي أحرزه في ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٣ على وشك أن يتوّج بانتصار مشابه في الصراع الدائر للسيطرة على الجهاز السري؛ فوجئ الإخوان بخبر قرؤوه في الصحف صباح ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر عن موت سيد فايز بقنبلة وضعت في صندوق من الفطائر، وكان فايز شخصية بارزة في أحداث ١٩٤٨ و١٩٤٩، والرجل الثاني في الجهاز السري. وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر عقد مكتب الإرشاد جلسة استغرقت طوال الليل، وفي صباح اليوم التالي أعلن عن طرد أربعة من أعضاء الجماعة هم: أحمد زكي حسن، وأحمد الصباغ، وعبد الرحمن السندي، وأحمد عادل كمال، وهم جميعاً من أعضاء الجهاز السري، وفي اجتماع المكتب حسم صوت الهضيبي الأمر بعد تعادل أصوات الأعضاء في التصويت على موضوع الطرد (٥ إلى ٥) وبعثت السكرتارية مذكرة للشعب كافة تطلب منها عدم التقدم بأي استفسار حول الموضوع. وعند تناول الصحافة لنبأ موت سيد فايز لم تشر من قريب أو بعيد إلى طبيعة انتماءاته»[٢]

(٢) ريتشارد ميتشل، الإخوان، ج/١، ص٢٥٦.

# شهادات إخوانية في مقتل المهندس سيد فايز عبد المطلب

المهندس سيد فايز عبد المطلب مهندس ومقاول من مواليد ١٩٢٠، وكان من أبرز أعضاء جماعة الإخوان ومن أخطر أعضاء النظام السري. قُتل المهندس السيد فايز عبد المطلب يوم الخميس ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٣ في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف، بأن أُرسل له صندوق حلوى بمناسبة المولد كهدية سلمت لشقيقته (سيدة فايز عبد المطلب)، وطلب المسلّم منها ألا يُفتح الصندوق إلا بمعرفة سيد. وعندما عاد إلى منزله قصت عليه أخته ما حدث، فأخذ الصندوق وفتحه فانفجر فيه، إذ كان ملغماً وقتل هو وشقيقه، وجرح باقي من في البيت وجرحت «سيدة» أخته، كما أن حائط الحجرة سقط على طفل كان يسير بالشارع فمات. يقول إبراهيم زهمول في مقدمة كتابه **الإخوان المسلمون** ص١: «هذا الكتاب هو أحد فصول دراستنا المقارنة عن الجماعات السياسية ذات التسمية الدينية، أو ما اصطلح على تعريفها بالأحزاب الدينية، وهو يمثل دراسة لفكر جماعة الإخوان منذ نشأتها وحتى تاريخ حلها». وفي الصفحة (٢٢٧) من هذه الدراسة[١] يقول زهمول:

---

(١) التي تمت باللغة الفرنسية ثم عُرِّب منها الفصل الخاص بجماعة الإخوان، وطُبع =

«بعد أن تم تعيين الأستاذ الهضيبي مرشداً للإخوان، لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذي كان موجوداً في وقت السيد حسن البنّا برئاسة السيد عبد الرحمن السندي، فعمل على إبعاده معلناً بأنه لا يوافق على التنظيمات السرية، لأنه لا سرية في الدين، ولكنه في الوقت نفسه بدأ في تكوين تنظيمات سرية جديدة تدين له بالولاء والطاعة، بل عمد إلى التفرقة بين أفراد النظام السري القديم ليأخذ منه في صفه أكبر عدد ليضمهم إلى جهازه السري الجديد. وفي هذه الظروف المريبة قُتل المرحوم المهندس السيد فايز عبد اللطيف بواسطة صندوق من الديناميت وصل إلى منزله على أنه هدايا من الحلوى بمناسبة عيد المولد النبوي، وقد قتل معه بسبب الحادث شقيقه الصغير البالغ من العمر تسع سنوات، وطفلة صغيرة كانت تسير تحت الشرفة التي انهارت نتيجة الانفجار». «وكانت المعلومات ترد إلى المخابرات (يقصد مخابرات الإخوان) بأن المقربين من المرشد (الهضيبي) يسيرون سيراً سريعاً في سبيل تكوين جهاز سرى قوي، ويسعون في نفس الوقت إلى التخلص من المناوئين لهم من أفراد الجهاز السري القديم»[٢].

ويؤكد فتحي العسال (وهو كان من صقور النظام الخاص أيضاً، كما كان الساعد الأيمن لعبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة)[٣]، أن الهضيبي «لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذي

= على نفقة المؤلف في فرنسا، وكنت بالمناسبة ومن دون معرفة بالسيد زهمول أحد الذين شاركوا في تصحيح ملازم الكتاب وطباعته.

(٢) هذا الكتاب ليس عليه رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية، ولكنه يباع بالمكتبات الخاصة بجماعة الإخوان. وطبعته الأولى صدرت في فرنسا عام ١٩٨٥.

(٣) في كتابه **الإخوان بين عهدين: قصة الإخوان كاملة**، لا دار نشر ولا تاريخ، ولعله من مطبوعات الإخوان، وقد أعيد طبعه في القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢.

كان موجوداً في عهد حسن البنّا برئاسة عبد الرحمن السندي، فعمل على تصفيته، معلناً أنه لا يوافق على التنظيمات السرية لأنه لا سرية في الدين». «وفى الوقت ذاته بدأ بتنظيم جهاز سري خاص به يدين له بالولاء والطاعة، بل عمد على التفرقة بين النظام السري القديم. وفي خسة ونذالة تطالعنا الصحف بنبأ اغتيال السيد فايز بواسطة صندوق حلاوة المولد مملوء ديناميت وصل إلى منزله على أنه هدية من الحلوى بمناسبة المولد النبوي، وقتل معه شقيقه الصغير ٩ سنوات وطفلة صغيرة سقطت عليها شرفة المنزل نتيجة الانفجار»[٤]. ويقول أيضاً إن البنّا كان أوصى قبل وفاته بأن يخلفه الشيخ الباقوري، ولكن الإخوان اعترفوا بعد انتخاب الهضيبي بزلتهم، ذلك أن الهضيبي كان قريباً ونسيباً وصهراً لأربعة من رجال السراي من مستشاري الملك المقربين. واتّهم العسال (وكان مراقباً عاماً للإخوان) الهضيبي بالولاء للملك فاروق، وبالتفريق بين الإخوان وإيجاد الفتن بينهم، وأنه كان يتوقع توزيره على أيام حكومات علي ماهر ونجيب الهلالي. وقال عن الهضيبي تعليقاً على كلام قاله المرشد العام في اللقاء الذى أجرته معه خيرية خيري بجريدة **أخبار اليوم**، تحت عنوان (س وج) العدد ٤٩١ السنة العاشرة، في تاريخ ٣ نيسان/أبريل ١٩٥٤ الموافق ٢٩ رجب ١٣٧٣هـ: «يتبين للقارئ الكريم من هذا الحديث كيف توصل هذا الدخيل إلى صفوف الإخوان، وكيف أجاب على أسئلة الجريدة بقوله (معرفش هم اللي اختاروني). بيد أن سلطاناً طاغية كان مسلطاً على الرؤوس المفكرة، وعلى الدواهي الذين سماهم، لا سيما وأنه يقول: (ما افتكرهمش إلا لما يكونوا قدامي) وذلك هو الجهل

(٤) م.ن، ص٢١٣.

المفجع والخبص المؤلم المرذول، فأنّى لهذا المعتوه معرفة إخوانه حتى المقربين لديه؟ لا السواد الأعظم البعيدين عن القاهرة»[٥].

أما عباس السيسي[٦] فيقول: «أعرف الشهيد سيد فايزْ عن قرب، فقد جمعتني به أيام أكثرها أهمية تلك الأيام التي قضيناها معاً في منزل الأخ المهندس محمد سليم مصطفى في مرسى مطروح، حين كان القتال على أشده في فلسطين، وفي العشرين من تشرين الثاني/نوفمبر نشرت الصحف نعي الأخ المهندس سيد فايز. وفي اليوم التالي شيعت جنازة الشهيد، وكان على رأس المشيعين فضيلة المرشد العام الذي بدا التأثر والحزن الشديدان عليه، وكانت الجنازة مشحونة بعواطف الإخوان الثائرة في حزن وغم وغموض، وقد وصف لي أحد الإخوة أن الجنازة كانت تعبيراً حاراً للولاء للأستاذ المرشد العام، وأن التعليقات المتبادلة بين الإخوان تقول إن أصابع الاتهام تشير إلى عبد الناصر في هذا الحادث. وعللوا ذلك بأن من المستحيل أن يقوم بهذا العمل الإجرامي واحد من الإخوان في قلبه ذرة من الإيمان، مهما حدث بين الإخوان من خلاف فإن ما حدث لا يمكن أن يصل إلى حد إراقة الدماء. وكان حادث اغتيال السيد فايز نذير خطر داهم على الجماعة».

وتحت عنوان (قرار بفصل أربعة من الإخوان) كتب يقول[٧]: «وبدأنا نترقب التطورات ونتأمل الموقف، وإذا بقرار يصدر من مكتب الإرشاد بطرد أربعة من الإخوان الأعضاء في قيادة الجهاز

---

(٥) م.ن، ص١٤٨ ـ ١٥٦.

(٦) في كتابه: في قافلة الإخوان، وهو في أربعة أجزاء، انظر ج/٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٣٧.

(٧) م.ن، ص١٣٨.

الخاص وهم: عبد الرحمن السندي وأحمد عادل كمال وأحمد الصباغ وأحمد زكي حسن. وكان لهذا النبأ المرادف لمقتل الأخ السيد فايز أسوأ الأثر في نفوسنا، حيث اختلط الأمر علينا فظننا أن الأخوة المفصولين لهم صلة وثيقة بحادث مقتل الشهيد. وإلى الآن وقد مضت سنون طويلة ولا يزال أمر اغتيال الشهيد سيد فايز غامضاً ومجهولاً، ولا ندري متى نعرف الحقيقة».

## شهادة الدكتور محمود عساف مستشار النظام الخاص

يقول الدكتور محمود عساف[٨]: «وفي يوم من أيام أيار/مايو ١٩٤٤، دعيت أنا والمرحوم الدكتور عبد العزيز كامل (نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشؤون الأزهر) في أواخر عهد عبد الناصر لكي نؤدي بيعة النظام الخاص، ذهبنا إلى بيت في حارة الصليبة في منتصف المسافة بين السيدة زينب والقلعة، ودخلنا غرفة معتمة يجلس فيها شخص غير واضح المعالم، يبدو أن صوته معروف هو صوت صالح عشماوي، وأمامه منضده منخفضة الأرجل وهو جالس أمامها متربعاً، وعلى المنضدة مصحف ومسدس، وطلب من كل منا أن يضع يده اليمنى على المصحف والمسدس ويؤدي البيعة بالطاعة للنظام الخاص والعمل على نصرة الدعوة الإسلامية». «كان هذا الموقف عجيباً يبعث على الرهبة، وخرجنا سوياً إلى ضوء الطريق، ويكاد كل منا يكتم غيظه. قال عبد العزيز: هذه تشبه الطقوس السرية التي تتسم بها الحركات السرية كالماسونية والبهائية ولا أصل لها في الإسلام. صدقت على كلامه ثم انصرف كل منا

---

(٨) في كتابه مع الإمام الشهيد حسن البنا، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٣، وتحت عنوان: انحراف النظام الخاص ومقتل السيد فايز، ص١٥٤.

إلى حال سبيله». «عينت بعد ذلك أنا وعبد العزيز كامل (وزير الأوقاف فى عهد عبد الناصر) مستشارين للنظام الخاص، نحضر اجتماعات مجلس إدارته، وكنا كالفرامل التي تكبح جماح السيارة إذا انفلت زمامها، وكنا نناقش الأمور بحرية وبغير التزام بمبدأ الطاعة التي كان يسير عليها غيرنا». «كانت أهداف النظام واضحة: العمل على نصرة فلسطين، وتخليصها من عصابات الصهاينة، والعمل على تحرير مصر من الاحتلال الإنكليزي، وفى ذات الوقت نعمل على نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة».

ثم يعود محمود عساف فيقول[٩]: أعتقد أن الإمام الشهيد كان على علم بهذه البيعة التي تختلف كثيرًا عن البيعة التامة، التي تبدأ بالتوبة والاستغفار ثم المعاهدة على نصرة الإسلام والعمل على تطبيق شريعته». «ظل النظام الخاص يؤدي دوره بكفاءة تحقيقاً للهدفين، ولكن السلطة التى كانت يتمتع بها رئيسه حوّلته بالتدريج من رجل دعوة إلى رجل عنف، وذلك اعتباراً من حادث الخازندار». «وبعد استشهاد الإمام تطلع رئيس النظام إلى الزعامة، وفقد روحانيته التي كانت قبل ذلك بادية على وجهه، وناصب الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام العداء». «وكان رئيس النظام على صلة وثيقة بعبد الناصر، حيث كان عبد الناصر عضواً بالنظام وعلى صلة طيبة بقيادته، حتى بعد أن نكث ببيعته هو ومعظم مجلس قيادة الثورة، لذلك فإن من المحتمل أن يكون عبد الناصر وراء الفتن التى حاقت بالإخوان، حيث كان ينبغي أن يحل الإخوان بأيديهم إذا ما اختلفوا وتضاربوا». «كانت عودة النظام الخاص إلى الوجود بعد قيام الثورة أمراً عجيباً، أذكر أنه حضر

---

(٩) م.ن، ص١٥٨ ـ ١٦٨.

رئيس النظام إلى منزلي ومعه الأخ مصطفى كمال الذي كان رئيساً للمكتب الفني بشركة الإعلانات العربية وقت أن كنت مديراً لها، وسألني الأخ عبد الرحمن سؤالاً مباشراً: هل أنت معنا أو لا؟ قلت: من أنتم؟ إن كنت تقصد الإخوان؟! فأود أن أقول لك إننا بايعنا حسن البنا. وبعد وفاته سقطت البيعة. والبيعة عقد، لهذا ينبغي الاتفاق على شروط عقد جديد. هناك أشخاص يعملون فى الجماعة، وأنت تعلم إني اشترطت عليك لكي لا أبلِّغ الإمام بما يفعلون، أن تبعدهم عن الإخوان ولو بالتدريج، وهؤلاء الآن يتصدرون الجماعة بعلمك وموافقتك. أما إن كنت تقصد النظام الخاص، فأريد أن أعرف أولاً ما أهدافه؟ لقد كان له هدفان: فلسطين والاستعمار البريطاني، والآن توجد حكومة وطنية نابعة من الشعب ومعظم أعضائها من صميم الإخوان، وهم مخلصون حتى ذلك الوقت عام ١٩٥٣، وفلسطين قد انتهى أمرها بإعلان قيام دولة إسرائيل واعتراف العالم بها، والاستعمار البريطاني موكول الآن إلى الحكومة الوطنية، فما هدف النظام الخاص الآن؟ ثم إن جميع قيادات النظام الخاص ومعظم أفراده قد انكشفوا للحكومة، والتحقيقات السابقة معهم جعلتهم يعترفون على بعض فهل النظام هدف في حد ذاته؟». «لم يرد عليّ عبد الرحمن وقال: إذن أنت لست معنا، وانصرف. بعد ذلك بحوالي أسبوع التقيت بالأخ المهندس سيد فايز، في شارع العباسية أمام مكتبة المطيعي، وجدته غاضباً على النظام الخاص، وأفكاره حوله تكاد تتطابق مع أفكاري». وعن اغتيال سيد فايز يقول: «تلك جريمة رهيبة لا شك عندي أنها من فعل النظام الخاص لمجرد أن السيد فايز يعارض وجوده. وقد سألت الشيخ السيد سابق عن هذه الواقعة فقال إن رئيس النظام هو الذي خططها، ونفذها أحد معاونيه بناء على فتوى

نسبت للشيخ السيد سابق وهو بريء منها، وقال لي إنه يعرف الشخص الذي قام بتلك الفعلة النكراء». «بعد هذا الحادث بحوالي شهرين، كنت آنذاك أعمل فى الفترة المسائية سكرتيراً لتحرير مجلة **الاقتصاد والمحاسبة**، التي يصدرها نادي التجارة، وكان معي موظف للكتابة على الآلة الكاتبة فى المساء كذلك. اختلى بي بعد انتهاء العمل وقال: هناك شيء أحب أن أبلغك به، فأنا أعمل موظفاً بالمباحث العامة ومهمتي كتابة التقارير على الآلة، وقد ورد تقريران، أحدهما عبارة عن تحريات لأحد المخبرين يفيد أن (محمود عساف) كان في دار الإخوان بالأمس، وكان يهتف بهتافات الإخوان بحماس زائد، وأنا أعلم أنك لم تكن هناك لأنك كنت معي هنا حتى منتصف الليل. أما التقرير الثاني فهو عبارة عن كشف موجود مع أحد الإخوان الذين قبض عليهم مؤخراً، وفي هذا الكشف اسم السيد فايز تحت رقم (١) واسمك تحت رقم (٣) ولما قرأت خبر جريمة اغتيال السيد فايز رأيت أن أحذرك، وهذا الكشف يحتوي على عشرة أسماء يبدو أنه يراد اغتيالهم وفيهم الشيخ السيد سابق».

## شهادة صلاح شادي[١٠]

«بدأ الإخوان يفدون إلى حسن الهضيبي (بعد أن تولى قيادة الإخوان) كل يحدثه بما يراه من خطأ يلزم إصلاحه في نظام الجماعة أو في رجالها، وضاق الرجل ذرعاً بما كان يسمعه، وربما كان صاحب الحديث صادقاً في الرغبة في الإصلاح، وفي ظنه أن نافذة هذا الإصلاح إنما تفتح فقط عند المرشد. ومن هنا سمع

---

(١٠) صفحات من التاريخ: حصاد العمر، م.س، ص٩٩ إلى ١١٢.

الكثير، الأمر الذي شاب وجدانه وضاق بالإخوان فيه».» واستمع المرشد إلى رأي سيد فايز في إصلاح النظام الذى يدعو إلى تخلي كل قادته المعروفين لدى الحكومة عن مراكزهم، إذ لا يتصَّور أن يتم أي عمل فدائي يكون اسم صاحبه معروفاً لدى الشرطة، وإلا فقد النظام السري مضمونه وأصبح علنياً! واقتنع المرشد بهذا الرأي وبدأ يخطو حكمه بالإعلان عن عدم وجود هذا النظام داخل الجماعة، وفي الوقت نفسه ظل مبقياً على واقع التنظيم بدون أي تغيير. وأيقن السندي أن الأرض التي يقف عليها لم تعد صلبة، وأن هناك تفكيراً في تغييره وتغيير غيره من قادة النظام، وأدرك أن الفكرة التي حملها سيد فايز يحملها في الوقت نفسه كمال القزاز ومحمد شديد وغيرهم، وكان قد سبق طرحها عليه فلم يوافق، فبدأ يعرض على الإخوة أعضاء مكتب إرشاد النظام فكرة خلع المرشد».
«والاحتمال الغالب أنه لما لم تتحقق رغبة السندي هداه فكره إلى التخلص من هؤلاء الذين جرى في ظنه أنهم يحفرون الأرض تحت قدميه، أو ربما هداه هواه إلى أن إفضاء سيد فايز للمرشد بمعلوماته عن النظام خيانة تبيح له قتله شرعاً!». «وقد روى لي الأخ علي صديق أن الأخ محمود الصباغ، حاول أن يعرف سر حادث مقتل سيد فايز، فذهب مع الشيخ الغزالي والشيخ السيد سابق إلى عبد الرحمن السندي بعد الحادث بفترة ليست طويلة ليسألوه عن حقيقة الحادث، وأفهموه أنهم لا ينتظرون منه إلا جواباً بالنفي أو الإثبات، وأن ما يقدمه من شروح دون ذلك يعني عندهم ارتكابه الحادث، فلم يجيبهم بالنفي، فخرج الثلاثة باقتناع واضح أنه هو الذي دبّر الحادث. «ولم يجر تحقيق من قيادة الجماعة بخصوص مقتل المرحوم سيد فايز، كما لم يتهم أحد بارتكاب الحادث، وإن جرى ظن الإخوان باتهام السندي على الأقل بأن له

صلة بالحادث. وكان المرشد قد عيّن فى هذا الوقت الأخ يوسف طلعت لرئاسة النظام بعد فصل السندي، وبدأ يوسف طلعت رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمارس دوره في تسلّم أجهزة النظام بدون موافقة السندي».

## شهادة أحمد عادل كمال

في كتابه **النقط فوق الحروف: الإخوان والنظام الخاص**، كتب يقول تحت عنوان «حصاد العمر»[11]: «لقد أصدر أخونا في الله تبارك وتعالى صلاح شادي كتاباً عنوانه **صفحات من التاريخ: حصاد العمر** أحسبه من أوله إلى آخره كتابَ من يدفع عن نفسه أنه أسلم جماعة الإخوان إلى جمال عبد الناصر، وهو إذ يفعل ذلك يحاول أن يلصقها بمن امتلأ قلبه حقداً عليه ـ كما يبدو من كتابه ـ عبد الرحمن السندي». «كان بين صلاح شادي وعبد الرحمن السندي حب مفقود خلافاً لما كان بين كل أخ مسلم وأخيه، والسبب أن صلاح شادي كان يرغب أن يكون ضمن قيادة النظام الخاص، في حين كان عبد الرحمن يرى عدم صلاحية صلاح لهذا، ولم يكف صلاح عن رغبته هذه ولم يعدل عبد الرحمن عن رأيه ذلك حتى آخر عمره. ولم يكتب عبد الرحمن عن صلاح، ولكن صلاحاً كتب في عام ١٩٨١ **حصاد العمر** جله عن عبد الرحمن من منظوره هو بعد أن لقي عبد الرحمن ربه عام ١٩٦٢ بتسعة عشر عاماً. وقد تضمّن الكتاب حوارات ثنائية بين الاثنين يتصدى فيها صلاح لعبد الرحمن فيفحمه ويدمغه! وعبد الرحمن ليس حياً ليجيب، فالميدان خال لبطل واحد. مثلاً يذكر صلاح عن حادث القطار الحربي الإنكليزي أن رجاله هم

---

(١١) النقط فوق الحروف: الإخوان والنظام الخاص، م.س، ص١٣٨ إلى ١٤٤.

الذين نفذوه ويذكرهم بأسمائهم. فليكن، فأنا شخصياً لم أكن أعرف فاعله، ولكن يضيف أنه في مقابلة مع عبد الرحمن زعمها عبد الرحمن لرجاله! وكانت صدمة لصلاح! إذا كان الموقف بين غريمين أحدهما صار فى ذمة الله فقد تحتاج الرواية إلى شهود وإلا بقيت ضعيفة. لست أتهم صلاح شادي - لا يسمح الله - بغير الصدق، ولكن الأمر يتعلق بأخ مسلم آخر، وقد درج المسلمون في رواياتهم على الإسناد فالإسناد جزء من الرواية، فإذا كان الراوي هو شاهد الواقعة فلا بأس، ولكن إذا شابها خصومة وحقد أو مصلحة فإن الأمر يختلف. صلاح شادي أخ مسلم وعبد الرحمن السندي أخ مسلم، لكل جهاده الذي لا تمحوه خصومة الآخر له، والموازين القسط ليست بأيدينا ولكنها بيد الله، وليس أحدنا وكيلاً عن الله في الأرض يحاسب الناس ويصدر أحكامه نيابة عنه».

«يقول أيضاً في حصاد عمره: إنما العيب الرئيسي في تنظيم الجهاد السري على وجه الخصوص أعزوه في رأيي إلى عدم كفاءة رئيس النظام في النهوض بتبعات العمل الفدائي في مجال التنفيذ، وظهر في قضية الجيب، حين بادر بغير إكراه يذكر إلى الحديث عن خفايا التنظيم ورجاله بصورة فضحتها التحقيقات، بل وظل يمارس عمله بإصدار الأوامر من داخل السجن بعد هذه الاعترافات». يرد أحمد عادل كمال فيقول: «لم يحدث أبداً، كان عبد الرحمن مريضاً بالقلب، وكانت تنتابه الأزمة القلبية أشد ما تكون، والمحقق لا يرحم، وعبد الرحمن صامد لا يتفوه بكلمة، لقد قرأنا ملف القضية في السجن ورقة ورقة ولم يكن به حرف واحد مما ادعاه صاحب حصاد العمر، وإذا كان صاحب هذا الحصاد يستطيع فليدلني على كلمة واحدة فاه عليها عبد الرحمن عن النظام أو رجاله، وليسأل هو ومن يشاء جميع من بقي حياً من إخوان قضية الجيب، مصطفى

مشهور، أحمد حسنين، حسني عبد الباقي، محمود الصباغ، أحمد زكي حسن، محمد فرغلي النخلي، أحمد عادل كمال، طاهر عماد الدين، محمد أحمد علي، علي حسنين الحريري.. إلخ. فهم شهود عدول فليسألهم، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون! والوقائع الصحيحة في هذا الشأن أن عبد الرحمن السندي نفى نفياً قاطعاً معرفته بشيء اسمه النظام الخاص، أما عن المسؤولين معه عن النظام فكما جاء فى صفحة (١٧٧٢) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب، قرر أنه لا يعرف محمود الصباغ ولا مصطفى مشهور، واستمر على ذلك إلى آخر التحقيقات ونهاية المحاكمات، وبالنسبة إلى أحمد زكي حسن وكذا حسني عبد الباقي فقد جاء ذكرهما وذكر عبد الرحمن في سجل حسابات ومصروفات النظام الخاص، الذي ضبط عند أمين صندوق النظام محمد فرغلي النخيلي، وكان يحفظه مع سجلات مسبك للمعادن يملكه بالرويعي، وكان هو الذى يمسكه، ولعل أحد غيره لم يكن يعرفه فلم يتم الاتفاق مسبقاً على أقوال بشأنه، وعلل عبد الرحمن السندي تلك الحسابات بأنها خاصة بمشروع نسيج كان مزمعاً إنشاؤه، ولم يتفق أحد ممن وردت أسماؤهم بالسجل معه في الرأي، بشأن وجود هذا المشروع المزعوم، ولكن لم ينتج من هذا كشف أسرار أو إدانة لأحد، بل أذاب الموضوع وقفله في دائرة مفرغة تدور فيه تحقيقات النيابة دون جدوى، وكل الذي استطاعته النيابة فى آخر الأمر أن تنتهي إلى أن أقوال عبد الرحمن لم تكن صحيحة، هذا شيء وما جاء في حصاد العمر شيء آخر». «وفي صفحة (١٧٧٥) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب بمحضر النيابة بتاريخ الخميس (٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨م الموافق ٧ صفر ١٣٦٨هـ) جاء الآتي: ورد تقرير حضرة الطبيب الشرعي بشأن حالة

عبد الرحمن علي فراج السندي، ويتبين من الاطلاع عليه أن المتهم عنده مرض مزمن بالقلب، وأنه في حاجة إلى احتياطات وقائية وصحية، وأن من الأصوب نقله إلى مستشفى حكومي، حتى يكون تحت العناية الطبية والصحية اللازمة، وقد أرفقنا التقرير بالأوراق بعد التأشير عليه، ويكتب للحكمدارية بنقل المتهم على الفور إلى مستشفى الدمرداش، لوضعه تحت الحراسة اللازمة، كما يكتب للمستشفى بعلاج المتهم مع موافاتها بصورة من تقرير حضرة الطبيب الشرعي للاطلاع على حالة المتهم المرضية. . إلخ».

«وضاق مستشفى الدمرداش ذرعاً بإجراءات الحراسة وتفتيش الداخلين والخارجين، فطلب خروج عبد الرحمن، وأُعيد إلى سجن مصر العمومي حيث كنا، ولكن حالته الصحية حتمت أن يكون تحت رعاية مستشفى فنقل إلى مستشفى قصر العيني، وحدث به ما سبق أن حدث بمستشفى الدمرداش، فأعيد إلى السجن ثم إلى قصر العيني مرة أخرى، واستطاع عبد الرحمن أن يسوي الأمور مع الحراسة، فبقي بمستشفى قصر العيني حتى أفرج عنه. فإذا أخذنا في الاعتبار مستوى علاج مرض القلب في مصر عام (١٩٤٨م/١٣٦٧هـ) لأدركنا مقدار آلام عبد الرحمن السندي، وهو يحقق معه فيثبت ويستجوب فيصمد».

ويجهد أحمد عادل كمال لنقض «تصاوير حصاد العمر ومن أخذ عنه أن عبد الرحمن السندي رَحِمَهُ اللهُ كان فاقد المقومات والمزايا». فيقول عن السندي: إنه كان «فوق كونه أخاً مسلماً، مؤمناً إيماناً لا حدود له بفرضية الجهاد في سبيل الله ولزومه وحبب ذلك إلى قلبه، فأفرغ ذلك الإيمان في النظام الخاص، وأخلص له الإخلاص كله، كان يعيش ويغار عليه. كان عبد الرحمن طالباً بكلية الآداب، وغضب عليه أبوه لاتصاله بالدعوة، وخيّره بينها

وبين أن يستمر إنفاقه عليه، وبكل صدق ومن دون مرونة فيما يبدو اختار الدعوة، وأوقف أبوه الإنفاق عليه فالتحق بوظيفة بالشهادة الثانوية، ولم يكن الوقت يتسع لرعاية النظام والوظيفة والدراسة، فاضطر إلى التخلي عن الدراسة وأفرغ همته ونشاطه في النظام. كذلك كان عنيداً يصعب تحويله، وكانت تعليمات أطبائه أن يبتعد عن الانفعالات ويركن إلى الراحة فى فراشه، ولكنه كان لا يلتزم، وكان يقول لي إن إخلاده إلى الراحة يمرضه وتنتابه أزمات القلب، ولكنه لا يشعر بها إذا داوم نشاطه».

## خاتمة المطاف

يؤكد حسين حمودة في مذكراته أن عبد الناصر استمال عبد الرحمن السندي وصالح عشماوي وعبد الرحمن البنّا والشيخ الباقوري وغيرهم. وأن السندي عمل على استقطاب أعضاء من مكتب الإرشاد ومن النظام الخاص لتشكيل حزب عبد الناصر الجديد (هيئة التحرير) وأن هذا هو سبب عدم اعتقالهم في حملة ١٩٥٤[١].

يروي التلمساني أن المرحلة بين عامي ١٩٥٢ و١٩٥٤ تميّزت بمحاولاته للتقريب بين رجال الثورة والإخوان، إلى حد أن الإخوان كانوا يرون أنه (أي التلمساني) يميل إلى عبد الناصر. وفي تلك الأيام كان بعض الضباط الأحرار يحملون ورقة وقع عليها بعض أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان يطلبون إقالة الهضيبي ولو إلى حين، وحلّ مكتب الإرشاد وتكوين مكتب جديد، وكانوا يطلبون من التلمساني توقيعها[٢]. وفي يوم ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٥٤ وقع الصدام المحتوم في جامعة القاهرة.

---

(١) حسين حمودة، م.س، ص١٦٠ ـ ١٦٤.

(٢) التلمساني، ذكريات، م.س.

الغريب بعد كل هذه الروايات عدم شعور الإخوان المسلمين بالمسؤولية عما جرى، لاسيما وأن أبرز قادتهم كانوا إلى جانب عبد الناصر وضد قيادة المرشد الهضيبي الذي تولى عملية تصعيد الصراع مع النظام. وكان الإخوان يقيمون مهرجاناً سياسياً حاشداً كان نجمه الأكبر المناضل الإيراني الشهيد مجتبى نواب صفوي مؤسس حركة فدائيان إسلام، والذي دخل حرم الجامعة محمولاً على الأكتاف هو وسعيد رمضان (من كبار قادة الإخوان وصهر الإمام البنا). وقد خطب نواب صفوي في الجموع مهاجماً شاه إيران ومتوعداً بقتله ومادحاً حركة الإخوان التي اعتبرها القدوة والمثال لجميع حركات الإحياء والنهوض الإسلامي. وخلال المهرجان حضرت جماعات من شباب هيئة التحرير (حزب النظام)، وما لبث أن حصل صدام بين الإخوان وشباب الهيئة أدى إلى معارك وضحايا ونتج عنه صدور قرار مجلس قيادة الثورة، حلّ الإخوان (١٤ كانون الثاني/يناير) وقيام بحملة اعتقالات واسعة بتهمة الاتصال بالإنكليز والتآمر ضد نظام الحكم. وقد ظل عبد القادر عودة على صلة بالضباط الأحرار وخصوصاً محمد نجيب، الذي استعان به لإيقاف مظاهرة عابدين الشهيرة (شباط/فبراير ١٩٥٤) حين خرج مئات الألوف من الإخوان مطالبين بالإفراج عن الهضيبي ورفاقه. يومها وقف عبد القادر عودة إلى جانب محمد نجيب على شرفة قصر الرئاسة وخاطب المتظاهرين طالباً منهم الانصراف بهدوء وسلام، فلبّى المتظاهرون نداءه في مشهد لم يغفره له ضباط الثورة، ولعله كان السبب في إعدام عبد القادر عودة بعد حادثة المنشية في الإسكندرية.

لكن اندلاع أزمة آذار/مارس ١٩٥٤ بين محمد نجيب وعبد الناصر؛ سمح بإخراج الإخوان من السجن الحربي وإلغاء

قرار حل الجماعة، وزيارة عبد الناصر للهضيبي في منزله (تم الإفراج عن الإخوان في ٢٥ آذار/مارس). ويعلّق محمد نجيب على موقف الإخوان في تلك الأيام بأنهم أخطؤوا وخاصة مرشدهم الهضيبي بالوقوف إلى جانب عبد الناصر في تلك المعركة، وهم كانوا أقرب إلى محمد نجيب قبل ذلك وتربطه بقياداتهم علاقات متينة من المودة والاحترام. ويرى محمد نجيب أن الإخوان كانوا القوة المرجحة بينه وبين عبد الناصر الذي نجح في استمالتهم إليه. ويعتبر محمد نجيب أن خطأ الإخوان في أزمة آذار/مارس كان خطأً استراتيجياً. وهم تصوّروا أن القضاء على الأحزاب هو لصالحهم بحيث يصبحون الحزب الوحيد. ولم يتصوّر محمد نجيب أن يغير الإخوان موقفهم ويصالحوا عبد الناصر، ويقول إن ما فعله عبد الناصر يومها كان أهم ضربة سياسية في حياته ولولاها لما وصل إلى الحكم[٣].

وبعد إزاحة محمد نجيب واعتقال ضباط سلاح الفرسان المؤيدين له، وبعد إزاحة الضباط المسلمين عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة، كانت الضربة الكبرى للإخوان المسلمين في حادثة محاولة اغتيال عبد الناصر في منشية الإسكندرية يوم ٢٦/١١/١٩٥٤، وهي الحادثة التي يقول عنها حسين حمودة إنها تمثيلية، ويقسم محمد نجيب بشرفه العسكري أنها مدبّرة مفتعلة، وينقل عبد اللطيف بغدادي عن السادات وحسين الشافعي أنها مفبركة، ويقول محمد حسن التهامي إن المخابرات الأمريكية فبركت العملية[٤].

---

(٣) راجع مذكراته: كنت رئيساً لمصر، م.س.

(٤) روز اليوسف، ١/٥/١٩٧٨، وبقية الأقوال وردت في مذكرات الضباط =

أما عمر التلمساني فهو لا يُبرئ عبد الرحمن السندي من العملية، مذكراً بصلته بعبد الناصر ومؤكداً أن يوسف طلعت رئيس النظام الخاص في عهد الهضيبي، وإبراهيم الطيب رئيس نظام القاهرة، لم يكونا على علم بالحادث. ويوحي التلمساني في مذكراته[٥] بدور ما للسندي بالاتفاق مع عبد الناصر، إذ إن هنداوي دوير (أحد أبطال الحادث) كان شاباً مغامراً ثائر الأعصاب سريع التأثر، وإن الذي ورطه في المغامرة كان له مكانة في الإخوان تمكّنه من التأثير عليه وإقناعه بأن الأمر يهم الإخوان، مع أخذ المواثيق عليه أن يجعل الأمر سراً بينهما. ويذكر التلمساني أيضاً أن هنداوي دوير صاح لحظة إعدامه: (إذن تمت المهزلة على رأسي)، هذا فضلاً عن أمور أخرى سجلها الإخوان، مثل عدم بحث أجهزة الأمن عن سلاح الجريمة في مكان الحادث، وعدم إثبات المحققين وجود أية آثار للرصاصات الثمانية لا في الحائط ولا على الشرفة ولا حولها، ومصادفة وجود قلم أحمر ينكسر في جيب عبد الناصر ليبدو وكأنه دم يسيل، وعدم إصابة ناصر بأية رصاصة من مسلح يلزم أنه من النظام الخاص الشديد التدريب والدقة. ثم قصة ذلك النوبي آدم الذي يأتي من الإسكندرية إلى القاهرة ماشياً على قضبان سكة الحديد ليسلم عبد الناصر مسدس الحادث بنفسه، وليعطيه عبد الناصر مئة جنيه، إلى غير ذلك من الوقائع الغريبة التي كتب عنها كل الذين تناولوا الحادثة بالنقد والتحليل ليجدوا فيها مسرحية مفبركة أعطت الذريعة لعبد الناصر للقيام بضربته الكبيرة ضد الإخوان، التي نتج عنها إعدام عبد القادر

---

= المذكورين، راجع خصوصاً كتاب محمد الجوادي، **مذكرات الضباط الأحرار**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦. وفي كتاب سامي جوهر، **الصامتون يتكلمون**، م.س.

(٥) **ذكريات**، م.س، ص١٦٨ إلى ١٧٢.

عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوي دوير ومحمود عبد اللطيف (الشاب المنفذ للعملية). وسجن كل قيادة وأعضاء الدعوة لمدة تزيد على الـ ١٧ عاماً. (أُفرج عن ١٨١ منهم مطلع عهد السادات، وبعضهم مات في السجن)[٦].

وفي السجون التي مورست فيها أقسى أنواع التعذيب والإذلال، نشأت فكرة التكفير وخاصة في سجن ليمان طرة حيث كان المرشد حسن الهضيبي يحاور الشبان المتحمسين للفكرة، وهو كتب في ذلك كتابه الشهير **دعاة لا قضاة** بمعاونة ابنه المستشار في محكمة الاستئناف العالي مأمون الهضيبي (نائب المرشد العام والناطق الرسمي باسم الجماعة ثم المرشد العام حتى وفاته). وتدور دعوة كتاب **دعاة لا قضاة**[٧] على أنه ليس بالأمر الهيّن في العقيدة الإسلامية تكفير المسلم مهما بلغ في انحرافه أو قسوته.

---

(٦) لتفاصيل المحاكمات والإعدامات انظر: عبد العظيم رمضان، **الإخوان المسلمون والتنظيم السري**، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ١٩٨٢. محمد شوقي زكي، **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، م.س. زكريا سليمان بيومي، **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية المصرية**، م.س. حسن العشماوي، الإخوان والثورة، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٧.

(٧) دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧.

# «الخروج» أو معركة العنف والتطرف

لم يكن عمل عبد الرحمن السندي مع عبد الناصر وتمرده على المرشد الجديد وعلى قرار الجماعة، هو أول خروج للنظام الخاص على جماعة الإخوان (أو النظام العام للإخوان). ولعلنا نستطيع القول بأن جذور الفورة الجهادية لجماعات مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، موجودة في صلب نشأة وتكوين النظام الخاص. وكانت قضية اغتيال المستشار الخازندار هي المناسبة التي برز فيها إلى العلن وجود اختلاف لا بل افتراق بين تيارين ونهجين داخل العمل الإسلامي: الأول يمثله حسن البنّا ومن سار معه من الإخوان، ويجسّده اليوم التيار الوسطي المنتمي إلى فكر السيد سابق ومحمد الغزالي وفريد عبد الخالق ويوسف القرضاوي ومحمد سليم العوا ومحمد كمال أبو المجد وطارق البشري ومحمد عمارة وعادل حسين وعبد الوهاب المسيري؛ والثاني يمثله شباب جماعات الجهاد والجماعة الإسلامية وفكر التكفير والهجرة والمفاصلة والعنف. والمفارقة الغريبة أن قادة النظام الخاص وفكرة العنف هم الذين استلموا موقع المرشد العام للإخوان، في حين أن بعض عناصر جماعات الجهاد والجماعة الإسلامية من طلبة الجامعات في السبعينيات صاروا هم أبطال

المراجعات النظرية الجريئة وقادة محاولات تأسيس أحزاب سياسية إسلامية وسطية معتدلة. إلا أن المفارقة تصبح مفهومة إذا عرفنا أن قيادة الإخوان في الثمانينيات والتسعينيات وإثر مرحلة العلنية والخروج من السجون (١٩٧١ ـ ١٩٧٧) كانت من «الحرس القديم» أي من الجيل الذي استمر بالدعوة بعد محنة ١٩٥٤ ونكبة ١٩٦٥. وبحسب أبو العلا ماضي (وكيل مؤسسي حزب الوسط) فإن قيادة الإخوان من الحرس القديم تشكلت عقلياً وسياسياً وتنظيمياً ونفسياً من خلال ضغط الأزمة والصراع مع ثورة يوليو ونظام عبد الناصر وتأثرت بتبعاته فيما بعد، إذ دخلت هذه القيادات السجون وهم في سن الشباب وكانت خلفيتهم الثقافية ورؤاهم السياسية وقدراتهم التنظيمية هي ما يتوافر للشعب المصري في تلك المرحلة. وكان لطول الفترة التي قضوها وراء الأسوار، بصمود وصبر وتبتل وانقطعوا خلالها عن العالم (وصلت ببعضهم إلى ١٧ عاماً) تأثير كبير، ولا سيما لجهة تحديد نوعية العناصر التي صمدت واستمرت وتنادت بعد مرحلة الإفراج إلى معاودة بدء نشاط الإخوان، إذ كانوا في معظمهم من أعضاء التنظيم الخاص الذين تربوا على صفات الثبات والسرية والطاعة والثقة المطلقة بالقيادة وتنفيذ الأوامر. وتميّز هؤلاء أيضاً بوجود حالة عاطفية تجاه بعضهم البعض، تحولت إلى عصبية تسخّر القواعد واللوائح للحفاظ على تماسكهم، بل ولعدم إغضاب بعضهم البعض، في حين كانت القاعدة تتعامل معهم بهالة من التقديس كرّستها أخبار الصحف ومذكرات المعتقلين حول التعذيب والاضطهاد الذي لاقوه. وكان أيضاً من نتائج سنوات الاعتقال والإعدامات والاضطهادات أن أصبح المرشحون للقيادة أنداداً لبعضهم البعض، لم تبرز منهم شخصية قيادية بمستوى البنّا أو الهضيبي أو حتى التلمساني، في حين جرى طرد وإقصاء

البعض مثل الشيخ سيد سابق والشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي، وكان ذلك عاملاً من عوامل «الاستقلال التنظيمي» في المحافظات التي توجد فيها قيادات تاريخية. وكانت الخلفية الثقافية والسياسية للقيادات الإخوانية الخارجة عن النظام الخاص قد أصيبت بالتجمد والتكلس، فضلاً عن عزلتهم عن التطورات التي حدثت في العالم والأفكار والتيارات الحديثة، ونظم الإدارة والتنظيم، ما أدى إلى تمسكهم بالعناوين الكبرى وبالشعارات العامة، أي إلى الغموض وعدم الوضوح والبعد عن التفاصيل. وإذا كان هذا الأمر مفهوماً بوجود قيادات من أمثال البنّا وأعضاء مكتب الإرشاد في النصف الأول من القرن العشرين؛ فإنه يغدو عبئاً وأزمة في آخر القرن، ومطلع الألفية الميلادية الثالثة، لا سيما وأن سنوات السبعين والثمانين من القرن الماضي شهدت بروز رموز إسلامية نشأت من أحضان التجربة في اتحادات الطلاب والنقابات المهنية، وارتبطت بالطاقات والإبداعات الفردية وبالحركات الجماهيرية، وبظروف تعليمية وثقافية وسياسية وتنظيمية وإدارية جديدة، منفتحة على شتى التيارات والأفكار واللغات والتجمعات والحركات السياسية[1].

---

(١) أبو العلا ماضي، لقاء خاص مع المؤلف، القاهرة، ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٩٩، وهذا التحليل والشرح هو أفضل مقاربة علمية لفهم وضع الحركة الإسلامية المصرية المعاصر.